الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد Université Abou Bekr Belkaid
تلمسان الجزائر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم : اللغة العربية وآدابها

Ld B
Fac LLH 0817

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر
في الحضارة العربية الإسلامية
تحت عنوان

الأدب الإسلامي وحوار الحضارات
الكيلاني أنموذجا

من إعداد الطالبة :
خديجة صغير

تحت إشراف :
الأستاذة بدرية ساسي

السنة الجامعية: 2012م---2013م/1433هـ---1434هـ

TA - 810 - 22

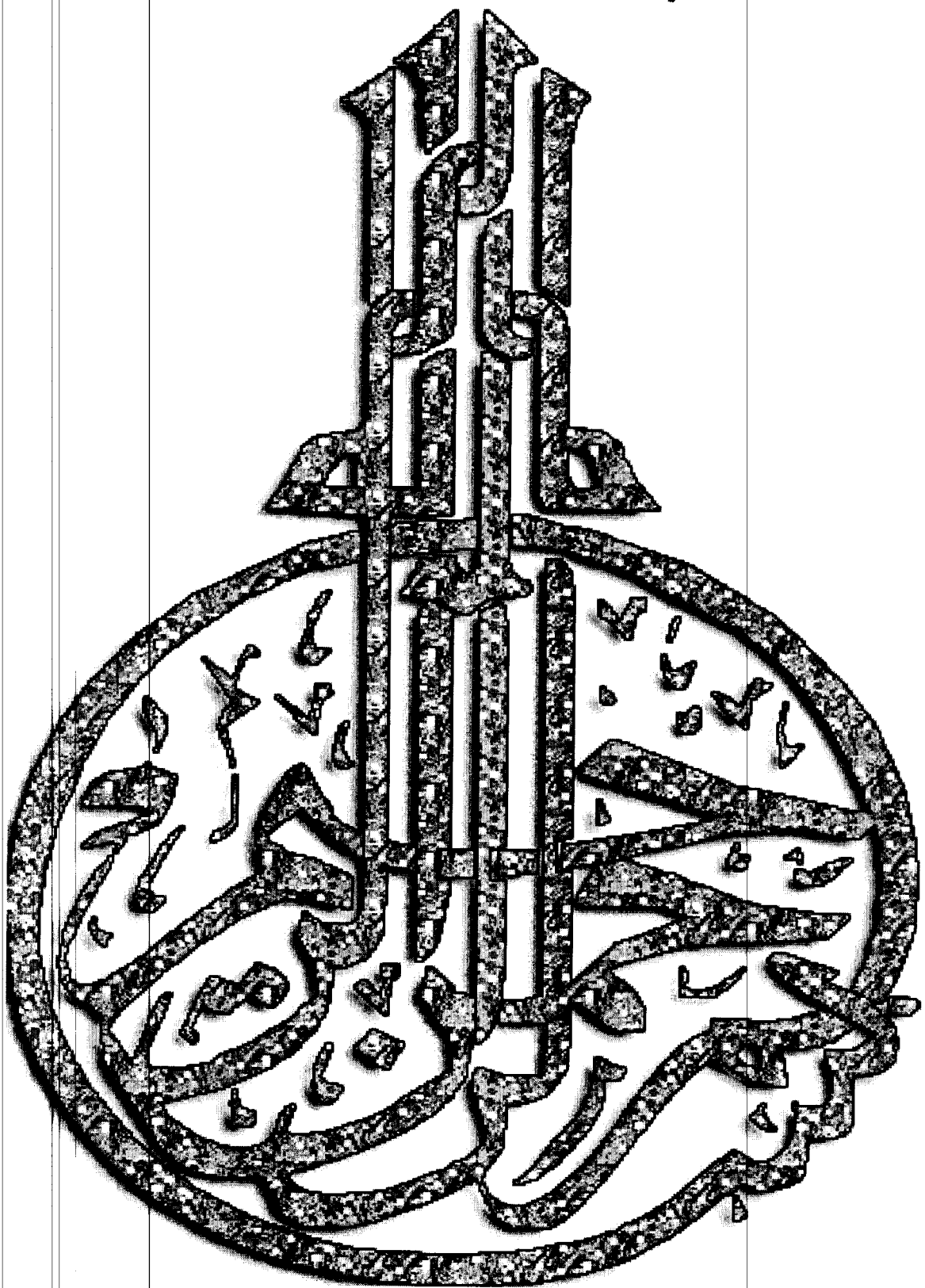

كلمة شكر

أتقدم بجزيل الشكر و فائق الاحترام والتقدير إلى والدي أولا وقبل كل شيء

وأشكر أستاذتي المشرفة:بدرية ساسي على مساعدتها لي قبل و أثناء خوضي غمار البحث، و التي لم تبخل علي بنصحائها الوجيهة.
أشكر كذلك لجنة المناقشة على حضورها وتشريفها لمناقشة هذه المذكرة المتواضعة.

إلى كل من سخَر قلمه من اجل كتابة هذا العمل :خديجة عثماني، أسماء بن سايح، فرح عميمر، أسماء بن موسى.
والشكر موصول إلى أساتذتي الذين علموني رسم الحروف حتى هذه اللحظة التي أنا فيها على مشارف التخرج و أخص بالذكر كلا من الأستاذ الفاضل *عبد المجيد عطار* و الأستاذ *محمد الصغير*

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر الذي لا يرق إليه شكر إلى
زهير بوغنجة
الذي بذل قصار جهده من أجل طباعة هذا العمل.
ألف شكر وألف تقدير

إهداء

إلى التي جعل الله الجنة تحت قدميها، إلى النبع الصافي

أمي الغالية

إلى القمر المنير الذي أضاء لي ظلمة هذه الحياة بجملة نصائحه

و إرشاداته الصارمة

والدي أطال الله في عمره

إلى أختَيَ *أسماء*و*مريم*

إلى رفيقة الدرب *سهيلة حجيج*

إلى كل الأهل و الأقارب وكافة الزملاء و الزميلات بالجامعة

وخارجها أهدي هذا العمل المتواضع.

خديجة

خطة البحث

مقدمـــــة

مدخل:الأدب الإسلامي أدب كل العصور

الفصل الأول:الأدب الإسلامي بين التأسيس و التنزيل

*المبحث الأول ماهية الأدب الإسلامي

*المبحث الثاني:خصائص الأدب الإسلامي

*المبحث الثالث: موضوعات الأدب الإسلامي

*المبحث الرابع: تحديات تواجه الأدب الإسلامي

الفصل الثاني:الأدب الإسلامي وجدلية الحوار و الصراع

*المبحث الأول :المرجعية القرآنية للأدب الإسلامي

*المبحث الثاني:حوارية الأدب الإسلامي

الفصل الثالث:في سياق العالمية

*المبحث الأول :عولمة صراع الحضارات

*المبحث الثاني :الأدب و العولمة

*المبحث الثالث:الإسلام و حوار الحضارات

*المبحث الرابع: حوار الحضارات في كتابات نجيب الكيلاني

الخاتمـــــة

الفهرس

مقدمة.....أ-ت

مدخل:الأدب الإسلامي أدب كل العصور.....01

الفصل الأول:الأدب الإسلامي بين التأسيس والتنزيل

*المبحث الأول: ماهية الأدب الإسلامي.....9

*المبحث الثاني:خصائص الأدب الإسلامي.....16

*المبحث الثالث: موضوعات الأدب الإسلامي.....23

*المبحث الرابع:تحديات تواجه الأدب الإسلامي.....33

*الفصل الثاني:الأدب الإسلامي و جدلية الحوار و الصراع

*المبحث الأول:المرجعية القرآنية للأدب الإسلامي.....39

*المبحث الثاني:حوارية الأدب الإسلامي.....47

الفصل الثالث:في سياق العالمية

*المبحث الأول:عولمة صراع الحضارات.....53

*المبحث الثاني:الأدب و العولمة.....58

*المبحث الثالث:الإسلام وحوار الحضارات.....67

*المبحث الرابع:حوار الحضارات في كتابات نجيب الكيلاني.....73

الخاتمة.....96

إن الحضارة في أقوى وأرقى معانيها هي التي تحقق تلك القوة الفعالة في صنع التكامل البشري والرخاء والسعادة والتقدم للإنسانية ومن ثم تكون لهذه الحضارة الغلبة والمنعة، مما يجعلها مثلا يحتذي به وهذا هو حال الحضارة العربية الإسلامية، فهي فريدة في تأثيرها وطابعها ومنابعها، كما أنها خالدة لا تموت لأنها مرتبطة بروح القرآن التي تسري في شرايينها، وهذا ما يحقق لها البقاء والثبات في كل زمان ومكان.

ومما لا شك فيه أن الأدب الإسلامي سيشكل أحد أهم عناصرها ولسانا من ألسنة الدعوة الإسلامية، إذ لديه جانبٌ خاصٌ وآخر عامٌ، وهذا ما أكسبه صبغة الحوارية مع بقية الآداب الأخرى باعتبار أن جذوره تمتد إلى الإبداع والتراث العالمي المشترك وخاصة فيما يتعلق بالأشكال الفنية التي أصبحت في عصرنا ملكا للجميع، ولا تحجزها نزوات التعصب العرقية أو الدينية أو السياسية أو المذهبية أو الجغرافية .

و قد اخترت موضوع الأدب الإسلامي وحوار الحضارات وراودتني فيه عدة إشكالات أهمها:

1- هل في الأدب الإسلامي دعوة لحوار الحضارات أم لصراعها ؟

2- كيف أسهم الأدب الإسلامي في تفعيل آليات الحوار؟

3- هل استطاع الأدب الإسلامي أن يتكيف مع معطيات التطور و العولمة؟

4- ما هو الأصل في العلاقات بين الحضارات؟ أ هي صراع أم حوار؟

5- كيف أسس الإسلام لحوار مثمر مع الغرب؟

6- كيف أسهمت أعمال نجيب الكيلاني الأدبية في ترسيخ أسس الحوار؟

7- ما هو مستقبل تفعيل آليات حوار الحضارات ؟

و قد عالجت هذا الموضوع نتيجة لعدة أسباب منها الذاتية و الموضوعية، أما الذاتية فتكمن في حبي الكبير لهذا الموضوع والرغبة التي اجتاحتني لإنجازه منذ عدة سنوات وأما الموضوعية فتكمن في الآتـي:

1- اتسام الموضوع بالجرأة والجدة.

2- الموضوع عبارة عن نظرة ثاقبة حول ما يجري في العالم.

3- الموضوع يجعلنا ندرك أهمية الحوار والانفتاح على الآخر.

4- الموضوع سيمكننا من الإطلاع على مختلف وجهات النظر في الكثير من القضايا المحورية في عصرنا الحالي.

5- من خلال هذا الموضوع استطعنا أن نتطرق بالتحليل والنقاش إلى مدى إسهام الأدب الإسلامي في الدعوة إلى حوار الحضارات.

وقد اتبعت في هذا الموضوع الخطة التالية:

1 مقدمة.

2 المدخل وعنونته بالأدب الإسلامي أدب كل العصور.

ومن ثم قسمت الموضوع إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول وعنونته بالأدب الإسلامي بين التأسيس والتنزيل، وأدرجت تحته أربعة مباحث عنونت الأول بماهية الأدب الإسلامي، والثاني بخصائص الأدب الإسلامي، والثالث بموضوعات الأدب الإسلامي، والرابع بالتحديات التي تواجه الأدب الإسلامي.
- أما الفصل الثاني فقد عنونته بالأدب الإسلامي وجدلية الحوار والصراع وأدرجت تحته مبحثين، عنونت الأول بالمرجعية القرآنية للأدب الإسلامي، والثاني بحوارية الأدب الإسلامي.
- وبعد ذلك انتقلت إلى الفصل الثالث وعنونته " في سياق العالمية " وأدرجت تحته أربعة مباحث:

1- عولمة صراع الحضارات.

2- الأدب الإسلامي والعولمة.

3- الإسلام وحوار الحضارات.

4- حوار الحضارات في كتابات نجيب الكيلاني.

وفي الأخير وضعت خاتمة تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

واعتمدت في ذلك كله المنهج الوصفي التحليلي أحيانا والتاريخي أحيانا أخرى.

تلمسان يوم:2013/6/13

خديجة صغير.

الأدب الإسلامي أدب كل العصور:[1]

إن القيم الإسلامية الكبرى تفرض سلطانها على كل العصور تستوي في ذلك عصور الازدهار ، وعصور التخلف والتدهور.

لأن هذه القيم مرتبطة أوثق الارتباط بالعقيدة الإسلامية وبمنهجها، والعجيب أيضا أنها تبسط هيمنتها على كل الذين يعيشون على أرض الإسلام، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين لأنها في حقيقة الأمر قيم حضارية عامة، تتغلغل في النظر إلى الأشياء والفكر والسلوك، والعلوم الدينية والدنيوية، وفي التشريع والسياسة والحرب والسلم، والاقتصاد، وفي الهدف والوسيلة، وهذه القيم تظل واضحة بارزة مهما كان بعض فعلها معطلا، فهي باقية ما بقيت السماء والأرض، صامدة صمود القرآن العظيم، تشع بأنوارها الباهرة عبر العصور المتلاحقة لأنها أولا وأخيرا من الرسالة الخاتمة، ومن الكلمة الأخيرة التي نزلت من السماء والأرض.

وتتميز هذه القيم بأنها تضم تصورا كاملا شاملا نموذجيا لكل نواحي الحياة، فالفضيلة خلق شخصي، وسلوك اجتماعي ومنهج عملي، وحكم راشد، وعدالة سمحا، وجهاد وعرق، وإبداع وتطور، وسياسة أمنية، وعاطفة نقية، لا تلبس الحق بالباطل، ولا تغرق في متاهات الحياة واللذة الآثمة، والجشع القاتل، والسيطرة الجائرة والحرية الضالة، والأنانية المدمرة، والمادية الفتاكة...من هنا استطاعت هذه القيم أن تضع حضارة فذة، وتقدم تجربة حية رائدة ثم اعترتها عوامل الضعف والقوة، والارتفاع والانخفاض، والنصر والهزيمة لكن هذه التغيرات كانت تعكس دائما مدى الالتزام بهذه القيم أو التخلي عنها، إن كانت حركة الإنسان سلبا أو إيجابا، انحرافا أو تطابقا، فهي المؤشر لظاهرة النجاح أو الفشل في أي عصر من العصور، وكان طبيعيا أن تفرز هذه القيم أدبا وكان منطقيا أن نطلق على هذا الأدب مصطلح الأدب الإسلامي، تماما كما وضع المسلمون مصطلحات أخرى وثيقة الصلة بتلك القيم، كمصطلحات الفقه الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي، والحكم الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والفتوحات الإسلامية...إلخ فالإسلام هو الأدب الشرعي، دافع عن هذه الكائنات

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة، 14جمادى الثانية 1407هـ، قطر، ص 21

بدمه وروحه، فجعلها تعيش وتنمو وتتغلغل في أعماق التحرك التاريخي، وتصبغ الفكر والسلوك والتصور، بالمنهج الضابط لهذه النشاطات وغيرها.[1]

ولم يكن هذا التصور أمرا شاذا كما يدعي بعضهم، لأن الفلسفات الكبيرة كلها - دعك من صوابها أو خطئها- أفرزت آدابا وانطلقت من قيم معينة، فسميت آدابها بأسمائها، وتمتلئ ساحة الآداب المعاصرة اليوم بأسماء لها دلالاتها بتصورات فلسفية متباينة...الأدب الوجودي...الأدب الاشتراكي أو الماركسي أو الواقعي الاشتراكي...الأدب العبثي...أدب اللامعقول.... الأدب التبشيري أو التنصيري أو المسيحي...الأدب الصهيوني...حتى الرومانسية والكلاسيكية والرمزية والفرويدية والطبيعية وغيرها نبتت في أرضية فلسفية معينة، فلا نرى لونا من ألوان الأدب في أوروبا مثلا إلا وارتبط تنظيره بفيلسوف من الفلاسفة المحدثين أو القدامى وعلى الرغم من أن الوجوديين قد أقروا بالالتزام في فنون النثر، ورفضوه بالنسبة للشعر، إلا أن غالبية الشعراء قديما وحديثا ينتمون إلى مدارس فلسفية أو فكرية بعينها، ويترجمون عن التأثر بها، فلماذا يعاب على المسلمين بالذات دعواهم إلى الأدب الإسلامي؟

وإذا كانت العلاقة بين بعض المدارس الأدبية والفلسفية التي تنتمي إليها علاقة تبدو أحيانا مختلفة أو مفتعلة، وأقل غير مقنعة، فإن علاقة الأدب الإسلامي بأبيه الشرعي الإسلام علاقة عضوية وثيقة لا يمكن فصمها إلا في الفترات الشاذة العصيبة، وفي عصور الجهل الأيديولوجي والمحن السياسية والاستعمارية، وهذا راجع لسبب أساسي ورئيسي وهو أن الإسلام ليس فلسفة تجريدية، ولا منهجا فضوليا يسمح له بالولوج إلى جهة، ويمنعنا من الدخول إلى جهة أخرى، بل هو صيغة شاملة كاملة تغطي جوانب الحياة كلها، كما أن الإسلام ليس مجرد فرضية أو نظرية تقف في استعلاء على ربوة مرتلة، وتنتظر من يتوسل إليها بالقرابين والكلمات، ولكنه واقع حي معيش فيه عظمة العصمة الإلهية والاستجابة الصحيحة لواقع الحياة الإنسانية بما فيها من استقامة وشذوذ، وقوة وضعف، ومادة وروح، وفيه أيضا انفتاح واع على تجارب البشر ومستجدات الحياة، دون شعور بالخوف والتردد أو عقد من نقص ومهانة، إن صلابة الاستمساك بالثابت، وعظمة المسايرة

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق، ص 22

مع التطور، والقدرة على المرونة الأصلية، على ضوء المفاهيم والقواعد الشامخة ذات الصبغة الإلهية كما أن فيه سماحة الفهم الصحيح للأديان الأخرى وما فيها من صدق أو تحريف،[1] قال تعالى:{**آمَنَ الرَسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لاَ نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَنَا وَإِلَيْكَ المَصِير**}[2].

ومن الطبيعي والمنطقي أن الأدب الإسلامي ترعرع في ظل القرآن الكريم ورحابه وينهل من فيضه ويغتني بمنهجه وأسلوبه ونماذجه، ويستمد منه عناصر الصدق والطهارة والقوة والدقة والأمانة، ويستشرف منه الغاية، ويغتنم الوسيلة، وفي فجر الدعوة الإسلامية، أقام الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر منبرا في المسجد، كما قال عن شاعره حسان (إنه ينطق بروح القدس)، كما قال صلى الله عليه وسلم أيضا (إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا)، وهكذا استمد الشعر الإسلامي منذ شروق الدعوة ألفاظ القرآن وعباراته وقيمه وأحكامه، وساير الشعر وهو أهم فنون الأدب آنذاك– ركاب الزحف الإسلامي المقدس موشحا بالقيم الفكرية والفنية والجمالية، منطلقا إلى غايات أسمى وأعمق من غايات الشعر الجاهلي الذي ظل ينظم في العصبية والقبلية والفخر والهجاء والمديح.

إن إشعاعات القيم الإسلامية اخترقت الحواجز والسدود، وخالطت علم العلماء، وأدب الأدباء، وسلوك الساسة واللغويين والفقهاء وحققت ذلك التجانس الهائل في مجالات الفكر والسلوك دون قيود على الإبداع الفني أو التجريب العلمي، أو الابتكار الحربي والإداري والحرفي، ومن هنا تولدت حضارة فذة، بعيدة عن التشوهات الخُلقية والخَلقية، فضربت مثلا رائدا في تاريخ الحضارات الإنسانية قديمها وحديثها، ثم كانت هي الأساس لما جاء بعدها

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق، ص 23
[2] الآية: 285، سورة البقرة.

من حضارات تالية أو معاصرة، على الرغم من الانتكاسة الرهيبة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي اليوم.[1]

وعلى الرغم من وجود فئات ظلت معتنقة للنصرانية أو اليهودية في إطار المجتمع المسلم إلا أن هذه الفئات - مع ولائها لدينها - ظلت معتنقة لتقاليد الحضارة الإسلامية لمنهجها وسلوكها، فصدرت عن هؤلاء آداب وفنون وعلوم لا تختلف كثيرا عما جادت به القرائح المسلمة، الملتزمة، وهكذا طغى عليهم النصر التاريخي النادر المثالي للحضارة الإسلامية، ولو لم يفعلوا ذلك لانقرضوا وما سمع بهم أحد، وهذه الظاهرة أيضا فيها ما يدل دلالة واضحة على تسامح الإسلام وشموخه كما جاء فيها أن النصر لا يكون بالحديد والنار وإنما بعظمة المبادئ الإلهية الخالدة التي تنحني أمام عظمتها الرؤوس.[2]

الأدب الإسلامي برغم ترهات المبطلين والمخدوعين جزء من بنية البناء الإسلامي الكبير، وهو التعبير بالكلمة عن أيديولوجيتنا العظيمة، ووسيلة من وسائل الدعوة في هذا العصر، وهو منهج إعلامنا في مواجهة الإعلام الصليبي والشيوعي والماركسي والوجودي المدمر، هو سلاح العصر في معارك الفنون والخبر والطوابير الخمسة، وهو أولا وأخيرا الحامي لمضمون العقيدة التي نحيا لها وبها، ونستشهد في سبيلها {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِهَا وَيَضْرِبُ اللهَ الأَمْثَالَ لِلنَاسِ لَعَلَهُمْ يَتَذَكَرُون، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خبيثة اجتثت مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ، يُثَبِتُ اللهَ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَيُضِلُ اللهَ الظَالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهَ مَا يَشَاء**}[3].

---

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق، ص 24
[2] نفس المرجع، ص25
[3] الآية 24-27، سورة إبراهيم.

واللغة العربية تستمد بقاءها وتميزها من القرآن الكريم الذي كتب بها فزادها شرفا ورفعة، وربطها بأعظم القيم في الوجود وعقائده وجعلها تمتد بين السماء والأرض ابد الآبدين، ومن ثم فإنها اللغة الطبيعية والأساسية للأدب الإسلامي، ولكن هذا لا يعني قصر الأدب الإسلامي عليها وحدها، لأن تباين العالم الإسلامي واختلاف لغاته يجعل من الضروري لهذا الأدب العالمي أن يكتب بلغات أخرى كالفارسية والكردية والتركية، بل والإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من لغات الدنيا، ولا غرابة في ذلك فأدب الواقعية الاشتراكية، وكذلك الأدب الوجودي وغيره يكتب بمختلف اللغات، ولكل لغة جماليتها وقدرتها التعبيرية المؤثرة، والواقع أننا إذا نظرنا لكلمات الفيلسوف الشاعر إقبال نُعجب به كما نطرب لأشعار ابن الفارض والبويصيري وشوقي، ومن المعروف أن لغات العالم الإسلامي قد تطعمت بالكثير من الألفاظ العربية وأساليب لغة القرآن وجمالها، واستلهمت قيمتها البلاغية والفصاحية منه ونهلت من مضامينه الفكرية الخالدة، والكل يصبو إلى أن تصبح اللغة العربية سائدة في مختلف بلدان العالم الإسلامي دون أن يعني ذلك إلغاء لغاته المحلية، ولا شك أن تجربة باكستان في هذا المضمار تُعد تجربة رائدة، أن أصبحت العربية لغة أساسية في بعض المراحل التعليمة فضلا عن أن القرآن الذي يقرأ بالعربية في كل الأنحاء، وكذلك الحديث الشريف،[1] وقد يقول قائل:

(إنه من الخطر أن نهمل مصطلح الأدب العربي الذي توارثناه جيلا بعد جيل، وأصبح يشكل تراثا ضخما عامرا بالكنوز والعطاءات العلمية والفنية، ونحن لا نهدف إلى ذلك مطلقا فالعربية لغة القرآن، الحفاظ عليها فريضة، فضلا عن أنها اللغة الأولى والأساسية للأدب الإسلامي إن الذي نريده في الواقع هو أن يكون الأدب العربي أدبا إسلاميا، أو بتعبير آخر، أن يكون مصطلح الأدب الإسلامي ضمن أدبي عربي بالدرجة الأولى ولا يظن ضان أن أدبنا العربي منذ فجر الدعوة ومرورا بعهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم حتى يومنا هذا لم يكن هذا الأدب إلا ترجمانا للثقافة الإسلامية وحضارتها يستوي في ذلك أدب المسلمين وغيرهم الذين نعموا بالحياة والحرية والتعبير والعمل في ظل المجتمع الإسلامي إبان صعوده وهبوطه، فالثقافة الحقيقية منهج في

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق، ص 25،26

الفكر والسلوك، ولم يكن المجتمع الإسلامي بكل طوائفه وفئاته وأقلياته من معتنقي الأديان الأخرى إلا متأثرين بذلك الطابع الإسلامي الشامل، ولهذا فإن إحياء مصطلح الأدب الإسلامي إنما هو في الواقع إيضاح لإيديولوجية ما نسميه بالأدب العربي أو الفارسي أو غيرهما، وهو بمثابة إعادة الأمور إلى وضعها الصحيح، ولا يمكن تفسير الغفلة التي سادت القرون الغابرة إلا لأنهم اعتبروا الأمر تحصيل حاصل، فالأدب العربي الإسلامي بالضرورة، أو هكذا يجب أن يكون لأنه ترجمان الحضارة الإسلامية بكل جوانبها، لأنه كان وعاء للتبادلات الفنية والفلسفية العلمية بين مختلف الجنسيات والثقافات القديمة، ولا يقلل من هذه الحقيقة انسياق الشعراء لبدع العصبيات والمدح والفخر الجاهلي والمجون، فذلك التمرد الفني والذي يرتبط بالشعر أكثر من غيره).[1]

{والشُعَرَاء يَتْبَعُهُم الغَاوُون، أَلَمْ تَرَ أَنَهُم فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُون، وَأَنَهُم يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُون، إِلاَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ، وذكروا الله كَثِيرًا، وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا، وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظُلِمُوا أَيَ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون}[2].

والأدب الإسلامي بداهة لا يرتبط بعصر دون عصر، إنما هو أدب كل العصور، لكن مفهومه الواضح المتصل بالعقيدة، يتشكل تبعا لأحداث التطور، وترادف الأحداث المتجددة، ونحن نرى المذاهب الأدبية الغربية نفسها ترتدي أثوابا جديدة من وقت لآخر، فالكلاسيكية القديمة اتخذت عند عصر البحث الأوروبي شكل الكلاسيكية الحديثة، كذلك تعددت الواقعية، وأصبح لها عشرات الأسماء والمفاهيم والرمزية تنوعت، بل أدباء المذهب الواحد، في العصر الواحد، كونوا أنماطا متمايزة ولم يتقوقعوا في قوالب محددة جامدة من صنع المذهب، نقول: (لم يغب المنهج الإسلامي عن الأدب العربي في مختلف العصور، فإذا ما تفحصنا كتابات أديب رائد مجرد كالجاحظ نلاحظ أنه يحدد أهم وظيفة للأدب، وهي إصلاح

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 26،27
[2] الآيات 224-227، سورة الشعراء .

العالم والمساهمة في تكوين الفرد تكوينا حديثا) وهذا التصور في معناه العام لا يختلف عما قاله الروائي السينمائي المعاصر " إنمار بزحمان" " مهمة الفن إعادة تشكيل الحياة "[1].

ويقول الجاحظ أيضا (لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء...إن غاية البيان وعلم الجمال هو الفهم والإفهام).

وحين يتحدث الجاحظ عن أحسن الكلام يقول (هو الذي يصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة).

ويرى الجاحظ أيضا أن الحداثة لا تتعلق بنوع دون آخر، لأنها لا تتعلق بالرمز بقدر ما تتعلق بقدرته على التأثير، فالصياغة هي الجِدة والحداثة، لأن المعاني موجودة فعلا من قبل.

الأدب الإسلامي إذن إفراز لمجتمع مسلم، والذين يعارضون هذا التصور يهدرون الأصول والبديهيات والوقائع التاريخية، ويتجاهلون التجارب الإنسانية الوفيرة، ويجعلون الفنون منبتة الصلة بتربتها وبيئتها وينابيعها الفكرية والدينية، ويخلعون عنها صفة التعبير الصادق، ويبترون أواصرها التي تعطيها نموها وجمالها وتأثيرها وإلا فجاءوا إلينا بأدب لم يصدر عن منطلقات إنسانية عاطفية وفكرا وموقفا بصرف النظر عن ماهية هذه العاطفة، أو طبيعة هذا الفكر أو كنه ذلك المؤلف.

والخلاصة من كل هذا هي وضع حد للجدل الصاخب حول المشروعية الأدبية لمصطلح الأدب الإسلامي، وأن ينطلق الأدباء الإسلاميون نحو غايتهم الواضحة، وفق برامج متفوقة، ووعي صادق وأن يهتموا بتأجيل القيم الجمالية، ومضامينهم الفكرية الأصلية، لأن التجربة هي ساحة الامتحان الحقيقي والنجاح الحق يفرض وجوده ويفسح للأدب مكانا لائقا في دنيا الكلمة، ويجعله شريكا – بل رائدا– في بناء الإنسان والمجتمع الجديد، وهو في الوقت نفسه، يرتفع بالأذواق ويسمو بالروح، ويحيي الوجدان، ويقوم اعوجاج النفس: ويتصدى للهمجية الشرسة التي تعصف بمقومات وجودنا كله.[2]

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 27،28
[2] نفس المرجع ، ص 28،29

والأدب الإسلامي وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية المعاصرة في مجالات التشريع والسياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام، وقيام هذا الأدب بمهامه يعد أمرا حيويا بتجنب العثرات واستمرار المسيرة، والتمهيد لغد أفضل، وحشد الطاقات لصنع التغيير المرتقب، وبدون الأدب الإسلامي نكون قد أهملنا سلاحا فعالا من أهم أسلحة المعركة.[1]

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 29،30

الفصل الأول

الأدب الإسلامي بين التأسيس والتنزيل

- المبحث الأول: ماهية الأدب الإسلامي
- المبحث الثاني: خصائص الأدب الإسلامي
- المبحث الثالث: موضوعات الأدب الإسلامي
- المبحث الرابع: تحديات تواجه الأدب الإسلامي

المبحث الأول: ماهية الأدب الإسلامي:

يعد الأدب الإسلامي لونا من ألوان الفنون الأكثر شيوعا وتأثيرا وشعبية، لأنه يضم الشعر وأنواع النثر الفني كالقصة والمسرحية والمقالة والمخاطرة وترجمة الحياة وغيرها، وعلى الرغم من تباين التعاريف التي وضعت في مختلف العصور، إلا أننا نستطيع أن نستخلص منها سمات أساسية للعمل الفني الأدبي، وبالتالي فهو يستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها، وفق التصور الإسلامي لهذه الحياة ولا يزيف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا، أو يحابي ضلالا أو يزين نفاقا يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، وينهض بعزائم المستضعفين، وينصر قضايا المظلومين، ويخفف من أحزان وبلايا المعذبين، ويبشر بالخير والحب والحق والجمال.

والأدب الإسلامي يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة، ويتناول نواحي الضعف والتردد والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها والشفاء منها، لا لمجرد تبريرها، أو التماس الأعذار لها، تصور الأدب الإسلامي للإنسان نابع من وصف الخالق للمخلوق: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} سورة الملك الآية(14). وهو أمر يجب أن يحفل به الأديب المسلم، بعد أن قدمت الآداب الغربية بل والشرقية أيضا، نماذج مشوهة للإنسان وجعلت من التشوه بطولة وحرية، وصنعت من التمرد الفاسد تحقيقا للذات، وإعلاء لشأن المخلوق.[1]

والأدب الإسلامي يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة، ويجعل من ذلك المضمون نسيجا فنيا واحدا معبرا أصدق تعبير، ويعول كثيرا على الأثر والانطباع الذي يترسب لدى المتلقي، ويتفاعل معه ويساهم في تشكيل أهوائه ومواقفه وحركته الصامدة أو المتدفقة إلى الأمام.

والأدب الإسلامي ليس قواعد جامدة أو صيغ معزولة عن الحياة والواقع أو خطبا مواعظ تنقلها النصوص والأحكام ولكنه صور جميلة نامية متطورة، تتزين بما يزيدها جمالا وجلالا، ويجعلها أقوى تأثيرا وفاعلية، ولا يستنكف هذا الأدب أن يبتكر الجديد النافع

[1] محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 12،13

الممتع، فالحياة في تجدد وتطور، وكذلك الإنسان وأساليب حياته العلمية والعملية والترفيهية، على أن يظل أدبنا في نطاق القيم الإسلامية الأصيلة، ملتزم بجوهرها وغايتها.

(فالأديب المسلم أمامه مدى واسع لا حد لآماله و لا سدود أمام أحلامه المنطلقة و مجال التسامي مفتوح أمامه إلى أعلى الآفاق... و تسامي الأديب المسلم إلى عالم المثل لأحلامه الإيجابية لا يعني هروبا من الأرض، و انعزالا عن صراع المجتمع، إنه لا يتسامى بخياله إلا ليفكر كيف يصنع سعادة الإنسان الجديد، وكيف يفصل للعاري رداء، ويقدم للجائع طعامه، و للمريض دواء، و كيف ينشر النور و السعادة و الخير في أرجاء الأرض التي يدب عليها... الأديب المسلم قدماه في الأرض و هامته تلامس الثريا، و كأنه الصلة بين الأرض و السماء، بين عالم الواقع بآلامه و نقائصه و مشاكله، و عالم المثل بشفافيته و فضائله و إبداعه..)[1]

والأدب الإسلامي أدب الضمير الحي، والوجدان السليم، والتصور الصحيح، والخيال البناء والعواطف المستقيمة، لا يتجه إلى انحراف نفسي أو اعتدال شعوري، أو مرض فلسفي تفشت جراثيمه في الماء والهواء والضوء والأفكار والسلوكيات.

والأدب الإسلامي أدب الوضوح لا يجنح إلى إبهام مضلل، أو سوداوية محيرة قاتلة، أو يأس مدمر، فالوضوح هو شاطئ الأمان الذي يأوي إليه الحائرون والتائهون في بيداء الحياة المحرقة المخيفة.

والأدب الإسلامي كما يعرفه محمد قطب هو: (التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإنسان للكون والحياة والإنسان)[2]

ويذهب الدكتور " عبد الرحمن رأفت الباشا " إلى أن (الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأدب، تعبير ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته ولا يجافي القيم الإنسانية)[3]

---

[1] د.لخضر العرابي: الأدب الإسلامي ماهيته و مجالاته ص 183،دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران-الإيداع القانوني:2003م

[2] محمد قطب- منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6- 1983، ص 06.

[3] عدنان رضا نحوي: الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته- دار النشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1994، ص 33-34.

والأدب الإسلامي هو الأدب الذي (ينطلق من الفطرة غير المنحرفة، وهو أدب يتلاقى مع الإيمان الذي غرسه الله سبحانه وتعالى في فطرة الإنسان، بل هو ثمرة من ثمرات هذا الإيمان ونفحة من نفحاته، وخفقه من خفقاته)[1]

والأدب الإسلامي هو (وعاء الأفكار والتصورات، وعاء الذات والوجود فهو ينمو مع الإنسان والجماعة والأرض والبيئة حتى يصور الأمة كلها)[2]

وكما يتأثر الأدب الإسلامي بالفطرة فهو يؤثر فيها، بل لا يعدل عن مسارها، وتأثير الدين وما يثريه القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم عن صفة الشعر ما هو إلا دليل على عظيم تأثير الشعر في النفوس لا قدحا فيه (فالأدب والدين متعانقان)– كما تقول " ثريا ملحس"[3]

والفن شأنه شأن الدين، كما يعبر عن ذلك الأستاذ " لخضر عرابي (فكلاهما يثيران في النفس عن طريق السمو في اللب والأسلوب، إحساسا علويا سَيُدِرَان عطف الإنسان على جميع المخلوقات والكائنات، ويملآن القلب بالمشاعر النبيلة الرحيمة، ويستلبان الإعجاب بصدورهما الفنية الرفيعة)[4]

والشعر الإلهي هو أرقى درجات الإبداع الإنساني عند أرسطو، كما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته إلا من كان شعره زاخر بروح الآلهة، فقد أجمع مؤرخو الأدب على أن (البدايات الأولى للأدب كانت في أحضان العقيدة، وأن الشعر أعرق الأجناس الأدبية قاطبة)[5]

إن العقيدة والأدب الإسلامي إيديولوجيا ورؤية وتصور، فكلاهما يلتقيان في الهدف والغاية، صنع الإنسان ورسالة الإصلاح والتقويم وهما كذلك يلتقيان في كونها شعورا وإيمانا لأن طبيعة الدين هي ذاتها طبيعة الشعر، فكلاهما شخصي وعاطفي كما يقول " دوت للي" (إن

[1] عبد الباسط بدر- مقدمة في الأدب الإسلامي- دار المنارة للنشر – جدة – المملكة السعودية- ط1- 1985، ص 125.
[2] عدنان رضا نحوي، المرجع السابق، ص 26.
[3] عدنان رضا نحوي، المرجع السابق، ص 26.
[4] ثريا ملحس- القيم الروحية في الشعر العربي- ص 96.
[5] عبد الباسط بدر، مقدمة في الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر –جدة – المملكة السعودية-ط1-، ص 125

الشعور في الدين يكون عبادة وفي الفن يكون مجسدا للمثل..وكلاهما شخصي يتخللها لشعور والإحساس)[1]

وكما يقول " محمد قطب" (فالدين يرتبط في حقيقة النفس بالفن آلية الحياة، فحين تتبلدُ النفس، فيمر الإنسان على هذا الكون مرورا آليا لا يراه ولا يحس به في أعماقه...لا يثير فيه الشوق العلوي، لا يتفتح لغاياته وأهدافه وروابطه، ولا يستجيب استجابة حية كما يربطها بالله والكون والحياة والناس من صلات...لا تنطلق نفسه في الأفق الأعلى الذي تلتقي فيه كل الصلات...فإنه يكون قد أغلق نفسه دون عالم العقيدة، ومن هنا يلتقي الفن والعقيدة في أعماق النفس، كما يلتقيان في أعماق الوجود)[2]

وهكذا تتجلى علاقة الأدب بالدين باعتباره الأول رسالة تهذيب لسلوك إنساني، والدين والأدب فعاليتان إنسانيتان من حيث الممارسة والأداء، ولا سبيل للاستغناء عنها[3]

والأدب باعتباره فنا فهو " تعبير رائع عن النفس والكون والحياة، يمتاز بالأصالة والصدق، ويبتعد عن الزيف والتزوير" [4] ومادته هي الحياة والنفس الإنسانية ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية للمضامين السليمة".

ولعلنا ندرك مما سبق أن العلاقة بين الدين والأدب جيدة لا انفصام لها، إذ يقوم الأدب بتثبيت أركان المعتقد الديني.

ومن هنا ظهر اصطلاح الأدب الإسلامي كمفهوم للأدب ذي مرجعية إسلامية، ولقد اتسعت دائرة الاهتمام به في السنوات الأخيرة.

بالرغم من أن الجهود المبذولة في هذا الميدان لا تزال دون الآمال الكبيرة التي تخفق في الصدور، ولا يعني هذا انتقاص من مبادرات الرواد والذين حاولوا جاهدين التأسيس لمفهوم الأدب الإسلامي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر " الشيخ أبوا الحسن الندوي- رئيس رابطة الأدب الإسلامي السابق- والأخوين سيد قطب- ومحمد قطب والأستاذ عبد الرحمن

[1] محمد البشير- الأدب الإسلامي والمنحنى التنفسي- ص 157.
[2] محمد قطب، المرجع السابق، ص 05.
[3] لخضر عرابي- أعراض القصص القرآني عند السيد قطب، ص 406.
[4] محمد نجيب الكيلاني، المرجع السابق، ص 12،

رأفت الباشا والدكتور عماد الدين خليل ومصطفى الغماري والدكتور أحمد بسام ساعي ونجيب الكيلاني، وغيرهم من الكتاب والشعراء والنقاد...فكيف قدم هؤلاء تصورهم الإسلامي للأدب ؟

إن التوجه الإسلامي للأدب ليس وليد الدراسات النقدية الحديثة وإنما ارتبط بتاريخ الإسلام منذ عصوره الأولى.

والأدب الإسلامي ليس وليد اللحظة الراهنة، وقصة العقل المسلم مع الإبداع بشكل عام ليست فكرة رمت بها صيرورة الأحداث إلى الواجهة كحالة رد فعل عكسي اتجاه الممارسات والاستفزازات اللإنسانية التي واجهها المثقف المسلم طيلة الحقب المنصرمة، بل هو على العكس وليد شرعي لأزيد من ثلاثة عشر قرنا من المخاض والفكر والعطاء الإنساني المتدفق في شتى ميادين المعرفة. ومن بينها الأدب، بدءا بحسان بن ثابت وكعب ابن مالك- رضي الله عنهم- حينما حرر القصيدة العربية من الرجس والمعصية إلى صراع من أجل إثبات الحق وإبراز المثل السامية التي جاء بها الدين الجديد متجاوزين بذلك حاجز القبيلة واللون إلى وشيجة أقوى هي وشيجة العقيدة[1]

فالشعر حسب تعبير " محمد إقبال" حقق نقلة نوعية إذ كان الشاعر يلج سوق عكاظ، ومع تلك الحضارة الجديدة أصبح يلج بيوت الله، وبعد ما كان يحتضن بالمال والشهرة والقبيلة صار يحتضن ببردة النبي صلى الله عليه وسلم[2]

وعبارة الأدب الإسلامي إنما تتضمن (كل ما نتصوره من أدب لحكمته وتفيض منه العاطفة الدينية لتوجهها)[3]

ومنه يمكن القول (إن الأدب الإسلامي هو صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة موحية من خلال التصور الإسلامي له)[4]

[1] أحمد الأشهب، حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي مجلة المسلم المعاصر- 1989- ص 113-114.
[2] محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية الدار البيضاء، ط1،1986،ص25.
[3] سعد أبو الرضا: الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح-مجلة الأدب الإسلامي، ط1،1995-ص59.
[4] المرجع نفسه، ص 96.

وهو ليس تقوقعا على الذات أو الانغلاق عليها وإنما ضرورة وجودية ورسالة حضارية دعامتها إخراج الإنسان من دائرة العدم إلى معيشة موصلة لحدث الآخرة باعتبار أنه ليس حركة من داخل الإنسان تستجيب من تجربة شعورية، أو موقف عقلي وإنما هو (حركة من خارج الإنسان تمده بالصواب وتخرجه من التوتر الفوضوي، نتيجة لهذا فإن الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الذي سيستلهم الوحي الثابت ويحقق انسجام حركتين وتطابق إرادتين.

إن الأدب الإسلامي أكبر من أن يسعه المذهب، أو تحويه الايدولوجيا بل هو أدب إنساني ينبع من فطرة الله التي فطر عليها الإنسان شامل شمولية الرسائل الإسلامية، وعلى حد تعبير " نجيب الكيلاني" من هنا كان الأديب المسلم ملتزما لمنهج شامل في الحياة، يعبر عنه بالقول والعمل ويتمثل في وحدته مع نفسه، في اندماجه مع أفراد مجتمعه..وهذا المنهج الشامل ليس محصورا في نظرية اقتصادية مغلقة، ولا في مدرسة فلسفية مقفلة، ولا يرتبط بها في أية حال على وجه البساطة.ولا بدولة ذات مذهب بعينه وإنما يتسم هذا المنهج بسمات إنسانية عالمية لبني البشر أجمعين، ويمجد الفضائل البشرية من حب أخوة وشجاعة ورحمة[1]

فالأدب الإسلامي ينظر إلى الحياة نظرة إيجابية مشرقة، الكون فيها جميل حي متناسق متعاطف مع الإنسان، والمخلوقات كلها أصدقاء للإنسان، والإنسان مكرم ذو إرادة وطاقة، والغاية واضحة، والحياة ممتدة، هذا كله يمد الإنسان قوة دافعة واستبشار بالحياة، وإقبالا على العمل والنتاج على النقيض من النظرات السود التي ترى في الحياة لغة الوجود أو تراها خالية من الغاية، تملأ بانتهاب للذات.[2]

وهو إضافة إلى نظرته التفاؤلية للحياة، إنما يرصدها لنظرة جمالية واسعة تجاوز بها الأدب الإسلامي النظرات الجمالية المادية المحدودة لسهولة النظرة الإسلامية التي تضم أطراف الوجود مادة ومعنى، شكلا جميلا وقيما جميلة من خلال كلية تعد الجمال أصلا في

[1] عبد الحفيظ بورديم، في مصطلح الأدب الإسلامي، مجلة كلية الأدب ط1، المجلد الثاني، نوفمبر 2000، ص 57.
[2] سيد قطب، في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1992 ص 20، 21، 27، 28.

بنية الكون، وفي خلق الإنسان والمخلوقات صفات ومعاني ومشاعر بما يرفع من شأن النظرة الجمالية ويغنيها[1]

إن الأدب الإسلامي بشموليته ورقيه تجسيدا لحماية الإنسان وملاذه وهو بهذا يمثل التصور الإنساني للغاية والهدف الذي يعيش له الإنسان في هذه الحياة.

ونستنتج من كل هذا أن الأدب الإسلامي بإمكانه إن قدرت له المواهب الفنية الراقية أن يحرر البشر على المستوى الأدبي من نزعات الضياع والشتات والقلق والاغتراب، وأن يكون فتحا جديدا للنفوس البشرية بما يمنحنا عالما إنسانيا راقيا يرسى قواعد إنسانية على نحو لا نرى له نظيرا في النظريات الأخرى.

[1] محمد عادل الهاشمي: في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، جار القلم، دمشق

المبحث الثاني: خصائص الأدب الإسلامي:

إن الأدب الإسلامي هو أدب عربي يتخذ من التصور الإسلامي للوجود مضمونا مستلهما منه النظر إلى قضايا الحياة و الكون و الإنسان ، ولكنه أدب يتجاوز المحاور الإقليمية و الحدود القومية ليشمل المسلمين في أقطارهم كافة، والعالم بأسره، إنه أدب يبشر العالم بخط جديد و عوالم جديدة، و يضمن فيما يضمنه سلامة تراثنا الفكري و الإفادة من تراثنا الأدبي على أساس من التوليد و الإبداع المتجدد.

و هو بعد ذلك أدب متميز بتصوره و فنه، لا يمت إلى المذاهب الأدبية، قديمة أو حديثة بصلة لأنه نسيج وحده في تصوره ونظرته إلى الوجود، وفي تعبيره عن حقائقه، وله خصائص متميزة نمثلها في ما يأتي:

1- الشمولية: يعرض لنا الأدب الإسلامي حياة البشرية من جميع جوانبها، في شمول واتساع و اكتمال، فيخالف بذلك الآداب التي تُعْنَي بجزئيات الحياة منفصلة دونما تنسيق أو ربط بكلياتها، مثال ذلك إنه لا يقف عند لحظة الجنس، فيضخم جزئياتها ويترك بقية اللوحة البشرية خالية من التعبير، وذلك لأن التناسق في لوحة الحياة البشرية يقتضي أن تكون الوجدانيات التي يصدرها الأدب شاملة للعواطف البشرية كلها، في مختلف حالاتها ومجالاتها، غير مقصورة على لون معين من ألوان الحب والعاطفة[1].

ولكن لا يعني الشمول في النظر إلى الكون والحياة والإنسان إلغاء التخصص في الالتقاط والتعبير، فلا بد من التخصص في الالتقاط والتعبير ساعة بعد ساعة في نفس الفنان، ونفس كل إنسان، وإنما الأديب المسلم يمنحنا في كل جزئية متخصصة قبسا من الوجود يصلها بحقائقه العليا ونواميس الكون.

[1] محمد قطب، المرجع السابق، ص 98، 190.

إن هذه النظرة الشمولية لها أثرها في ارتفاع مستوى الأدب بما يبثه هذا التنوع في مضمونه من حيوية في الكلمة وشمول في موضوعاتها، فإن تعدد أوجه النشاط الفكري والوجداني يمنح الكلمة الأدبية طاقة الإحاطة بقضايا الحياة وحقائقها، ويرتقي بالأدب إلى شمولية كونية.

2 الكونية: يتخذ الأدب الإسلامي سمة الشمولية الكونية، حين يربط الكون والحياة والإنسان بالناموس الإلهي الواحد، فيعرض الحياة متصلة متنافسة، مترابطة، وإن تصويرها على هذا النحو الشامل المرتبط بناموس الوجود الأكبر ما يتعدى بها حدود الأرض القريبة، ويصلها بخالق الحياة والأحياء ويضفي عليها جمالا لا تعرفه الآداب الحديثة المنقطعة عن الله.

وفي ذلك من الأفاق والإيحاءات ما يرتقي بالمواهب الأدبية العظيمة في ظل التصور الإسلامي.

3 الإنسانية: يمتاز الأدب الإسلامي بنظرته الإنسانية المتفردة التي تحف حياة الإنسان بالتكريم و الاهتمام، فالإنسان في الأدب الإسلامي ذو دور خطير ومسؤولية كبرى، وعلى قدر تكاليفه ومسؤوليته أعطي المكانة اللائقة به في الوجود وفي قيامه بدوره في الاستخلاف عن الله في الأرض وآفاقا متسعة.

4 الواقعية: ومن سمات الأدب الإسلامي نظره الواقعي وهو نظر متميز يختلف عن سمات الواقعية الأوروبية في الأدب والتصور، فالواقع الإسلامي هو الواقع الكبير، لا الواقع المحدود، وواقع الإنسان في الأدب الإسلامي ليس وواقع المادة أواقع الحيوان، ولا ينحصر في واقع فرد أو جيل كما لا ينحصر في لحظة الضعف والهبوط ولعل الفرق بين النظر الواقعي في الأدب الإسلامي والنظرات الواقعية الأوروبية، أن الأدب الإسلامي يأخذ الإنسان كلا لا يتجزأ، يأخذه بنوازعه ودوافعه وأشواقه وسموه معا، بينما تقتصر الواقعيات الأوروبية، على تصوير المدركات الدنيا للمجتمع والنفس البشرية وإذا كان البعض يرى أن

التصوير الواقعي للشر مرتبط بثقة الكاتب في الجمهور فعليه أن يميز بين الواقع ودلالة هذا الواقع[1]

فإننا نرى أن الجمهور حين تشده مادة التصوير الواقعي الغفل نحو الأدنى، تكون قد عطلت الإرادة الحرة المتعالية، كما عطل التمييز بين الواقع ودلالة الواقع بين جمهور الناس، وهناك فرق بين استخلاص النتائج وهو من مهمة النقاد والقلة المثقفة وبين الخضوع للإغراء الفني لدى الجمهرة الغالبة.

إن من سمات الواقعية في الأدب الإسلامي الارتفاع فوق الواقع بوصفه حقيقة البشرية، يميز إنسانية الإنسان الذي شدته موحيات الصعود، وكم من الحالات التي استطاع بها الإنسان أن يتفوق على نفسه عن طريق هذه الموحيات الإيمانية، وآفاقها الواسعة الممتدة.

قال عليه الصلاة والسلام: {حُبِبَ إليَ النِساءُ والطِيبُ، وجُعِلتْ قرَةُ عَيْنِي فِي الصَلاَة }[2]

فالنساء والطيب محببة لكل بحسب النوازع البشرية المشتركة ولكن أن يجد الإنسان سعادته في الصلاة فهو الأفق الذي ارتفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسم لنا بهذا الارتفاع عن الواقع قدوة.

5 العقائدية: يرسم الأدب الإسلامي الحياة من خلال العقيدة وأثرها في النفوس، ويعبر عنها في صورة أدبية موحية، بعيدا عن الوعظ والبلورة الفلسفية...والأديب المسلم يملك أن يبرز دور العقيدة إيجابا وسلبا، من خلال المشاعر والأحداث، وبتصورها من خلال العقيدة يكسب الحياة البشرية سعةً وعمقاً ويمنح الحياة هدفا ومعنى أكبر، حين يكلها إلى قيم ومعايير أكبر من حياة الفرد، بل أكبر من حياة الإنسان كله، لأنها معايير المتجه إلى الله.

ودور العقيدة في الأدب الإسلامي دور خلاق مبدع إنها تمنحه نظرته المتميزة، وطاقاته الكبرى، فالأدب الإسلامي أدب عقيدة أولا.

[1] محمد قطب، المرجع السابق، ص193.
[2] محمد غنيمي هلال، الموقف الأدبي : بيروت ، 1977، ص 122،123.

6القيم: من سمات الأدب الإسلامي أنه أدب يرعى القيم الإنسانية الربانية لأنها الضمان في استقرار الحياة البشرية وتوازنها.

وقيم الأدب الإسلامي إنما تستمد تصوراتها من تعاليم الإسلام، ومن المجتمع الإسلامي الذي يؤدي رسالته في عمران الحياة بالخير، ويشد الناس إلى السمو والارتفاع ويحدو إلى الفضائل ويغسل النفوس من أدرانها، ويجلوها لأفاق الخير والجمال.

إن ما تمتاز به قيم الأدب الإسلامي الإنسانية أنها قيم ربانية كونية تناسق بين حياة الإنسان ونظام الكون، لذا كانت زاد الإنسان المسلم الذي يؤدي مهمته ودور استخلافه في هذه الأرض، على هدى من ناموس الله في الوجود وهذا مما يفرد الأدب الإسلامي بمنزلته ومستواه.

7 الجمالية: الأدب الإسلامي أدب جمالي يتبع الجمال في مجال الوجود وفي آفاق معانيه، ونظرته إلى الجمال نظرة واسعة لا تقف عند حدود الحس ولا تنحصر في قالب محدود.

والأدب الإسلامي يعرض الحياة من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو الإيجاب، يعرض لجمال القيم والمشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة وارتفاع، ويعرض للإختلالات الإنسانية والنفسية والخلقية على أنها قبح ينافي حقيقة الجمال الراسخة في بنية الكون والحياة، وتصوير الجمال بهذا المعنى الواسع والنطاق الشامل جدير بأن يرفع النفس البشرية من حدود الحس القريبة والقيم المحدودة إلى عالم أوسع ومجالات شعورية أعلى، تحقق للإنسان معنى التكريم.

8 تحقيق الانتماء: إن الأدب الإسلامي في جميع الخصائص المذكورة يحقق للإنسان قيمة كبرى تعطيه معنى لوجوده في هذه الحياة، وهي انتماؤه لفكرة تمنحه مكانة ودورا ومسؤولية، وتجعله يحيا لغاية كبرى مستخلفا عن الله في الأرض، يكدح طول حياته ليؤديها

ويحوز بذلك رضوان ربه: قال عز وجل: " **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه** "[1]

هذا الانتماء في الأدب الإسلامي يرتفع بمكانة الإنسان ويحميه من سأم الحياة والضيق بها، كما يحميه من غربته مع نفسه ومجتمعه وعصره كما هو الحال في الوجودية والسريالية وسواهما من المذاهب المعاصرة، ويحميه من القلق والضياع و اللاجدوى ويجعل للحياة مذاقا وطعما، كما يجعل لها قيمة تستحق أن يعيش الإنسان لها [2]

وتتجلى خصائص الأدب الإسلامي أيضا من مفهومه فهو أدب تجسيد الحياة بمفهومها الشامل، إنه يمثل الحياة كلها لأنه يصدر عن تصور شامل للحياة بأسرها، الحياة بكل ما فيها من صور ونشاطات وأمم وثقافات وأجناس، كما أنه أدب ملتزم يجمع بين الفردية والجماعية، ولا يتحرَجُ من أن يفتح مجال القول فيه، فيعالج قضايا متعددة كأن يتحدث الأديب فيه عن ذاته وهمومه أو يتغنى بآلام المستضعفين من البشر.

إن الأدب الإسلامي ملتزم بقيم رسالته الحضارية التي تهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان وسعادته في هذا العالم، وقد نوقشت قضية الالتزام في الأدب حين رأى أحد الباحثين، بأن الأدب الملتزم هو " كل أدب يقف إلى جانب الإنسان لا فراد منعزلا، وإنما ممثلا للإنسانية كلها في تاريخها الطويل في كل زمان ومكان ليحسم صراعه الرهيب ضد الاستغلال والعبودية للوصول إلى الحرية الكاملة والشاملة في ظل مجتمع عادل انعدم فيه تمايز الناس حسب الطبقات ويخلص فيه الإنسان من الاستغلال والظلم، وبهذا يمكن للإنسانية أن تحافظ على كيانها ووجودها واستمرارها في أحسن الظروف البشرية واستنباط ما يمكنها من عولمة غامضة وأسرار تحمل في طياتها معنى السعادة والشقاء[3]

---

[1] الآية 06، الانشقاق

[2] محمد عادل الهاشمي: الإنسان في الأدب الإسلامي: مكتبة الطالب الجامعي: مكة المكرمة، العزيزية ، ص 18، 19.

[3] محمد حسين برغيش، الأدب الإسلامي- أصوله وسماته- مؤسسة الرسالة بيروت- 1416-ط1/1996م ، ص133

كما ناقش الأستاذ لخضر عرابي منحنى الالتزام في الأدب الإسلامي بأنه لا يمكن أن يحيا هذا الأدب بمنأى عن الالتزام، لكن هذا لا يعني البتة أنه أدب دعوة وحسب لأن أي أدب يحصر نفسه في الدعوة لأمرها أو في أيديولوجيا معينة يجيء أكثر دون المستوى المطلوب هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا كان الأدب الإسلامي كما يعتقد البعض محصور في الدعوة، فأين نضع مثلا الأدب الذاتي الذي يتحدث عن هموم الفرد وعواطفه ؟ وفي أي خانة نضع أدب الرثاء وشعر الطبيعة ؟ ومن هنا لا نريد للأدب الإسلامي الملتزم أن يهتم بمضامين دون غيرها، وإنما نريد له أن يهتم بكل الأجناس الأدبية.

والأدب الإسلامي تجسيد لغايتي الحق والجمال فغاية الحق عند الدين " الوصول إلى الخير في الدنيا والآخرة والفضائل الإنسانية ثمرة من ثمار دين الحق، والعاطفة فيه سمة من سماته المشاعة، والحب شريعة من شرائعه، قائم على أساس الحق وحب الإنسان هو العاطفة التي تربط بين الرجل والمرأة بلا انحدار بها أو سقوط في وحلها، وفي رواية شاسعة للحياة بلا انحباس في زاوية ضيقة مادية أو عاطفية.

ووسيلة الدين في ذلك كله " تحقيق الجمال في خلق السموات والأرض، والجمال في خلق الإنسان في أحسن تقويم، والجمال في تسخير المخلوقات خدمة للإنسان، وإتقان هذا الخلق دليل على قدرة الله وعظمته و تنزيهه من كل نقص واتصافه بكل كمال، ولم يتوقف الجمال في الدين عند هذا الحد فكل أوامر الدين ونواهيه تقود إلى الجمال في المعتقد والحركة، كما رأينا جمالا للعقيدة وتسليم الخالق بالجمال لأنه يدل عند العبد على إتقان العبودية، كما كان الجمال في منهج الدين في المعجزة الكبرى وهي القرآن كلمات الله أبلغ غايات الجمال في نصه، وحروفه والتزام الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليه استمرار لإعجازه مدى الحياة[1]

ومن خصائص الأدب الإسلامي وسماته أنه أدب يضع بحسابه الغايات البعيدة في الحياة الإنسانية ويدرك أنها مرتبطة بحياة أخرى تتعدى حدود الدنيا إلى الآخرة ولذلك فهو يدرك أن لكل عمل إنساني ولكل نشاط بشري غاية وهدفا و مردودا فهو أدب غائي بعيد عن العبث باسم الفن والشرود والسخرية من الإنسان والتلاعب بعواطف الناس، لذلك كان

[1] أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في الفترة مابين 1976/1931، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.ص23

من غايته ووظائفه القيام بمهمة التربية بصورة غير مباشرة وبطريقة تتناسب مع الشكل الفني أو الجنس الأدبي، فالأديب يعبر عنه "سيد قطب" يرغب في أن ينفعل جمهوره بالموضوع الذي يعرضه، ويقف منه مثل موقفه وينحاز إلى صفه ولذلك يندمج التأثير الفني والتوجيه التربوي مع بعض ليؤدي غاية مشتركة نحو المتلقي [1]

ومن سماته أيضا أن يختار الأديب مضامينه وقضاياه في أصالة وحرية وتميز ويطرح القضايا الكبرى وهو حر طليق من قيود لمدارس الأدبية والأوروبية التي فرضت نفسها على العصور، فمنطلق الأصالة في الإبداع الأدبي ينبثق ابتداء من منظور الأمة الأصيل ووجهة نظرتها في الحياة وهو ما يعبر عن شخصية الأمة الحضارية ودورها المتميز فيها مع الانفتاح على المعطيات الأدبية في العالم فيما لا يتنافى مع منظور الأمة الأصيل أو صهر ما يقدر من هذه المعطيات بطابعه.[2]

[1] لخضر عرابي، المرجع السابق، ص 167.
[2] المرجع نفسه، ص167.

المبحث الثالث: موضوعات الأدب الإسلامي:

1- الشعر:

- الشعر في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم

ظهر الإسلام وقد تحكمت في حياة العرب جاهلية قاسية وعقلية جافة وعجيبة مفرقة، فكان الشعر مظهرا من مظاهر هذه الصفات فلما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب على هذه الأخلاق تمهيد لألفة القلوب ووحدة العرب، كان من الطبيعي على الإسلام أن لا يشجع الناس عليه، ففي القرآن:

{والشُعَرَاء يَتْبَعُهُم الغَاوُون} [1].

{وَمَا عَلَمْنَاهُ الشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه}[2].

وفي الحديث "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ فمه شعرا" فانكب المسلمون على قرض الشعر و روايته، على علمهم بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه، وإنما كره منه ذلك النوع الذي يمزق الشمل ويثير دفائن القلوب. ثم شغل الإسلام العرب جميعا بالدعوة العظمى فمن مؤيد ومن معارض واشتدت الخصومة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش فجردوا عليه الأسنة والألسنة لكن شعراء العرب وقفوا موقف الحياد والتربص ينتظرون نتيجة المعركة بين التوحيد والوثنية، وبين الديمقراطية والأرستقراطية، و بين محمد وقريش، و لم يغامر في الخصومة إلا الشعراء القرشيون، وقد كانوا قليلين قبل الإسلام لانشغالهم بالتجارة، و صاروا كثرا بعده لدواعي النزاع و المعارضة، بدأ هذه

---

[1] الآية 224، سورة الشعراء.
[2] الآية 69، سورة الشعراء.

الحملة منهم " عبد الله بن الزبعري " و " عمرو بن العاص" و "أبو سفيان" فآذوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وأتباعه بقوارض الهجاء، فهاج ذلك من شاعرية المسلمين و ودوا لو يأذن لهم الرسول صلى الله عليه و سلم بمساجلتهم، فما هو إلا أن قال لهم: " ماذا يمنع الذين نصروا الله و رسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟" حتى نهض لقريش نفر من الصحابة، فيهم "حسان بن ثابت "و "كعب ابن مالك" و "عبد الله بن رواحه"، و شنوا حربا كلامية جاهلية، لم يهاجم المهاجمون فيها بفضائل الوثنية، و لم يدافع المدافعون بفضائل الإسلام، حتى نقول إن الشعر قد خطا في مذاهب الفن خطوة جديدة بل كانوا يتهاجون على النمط المعروف من الفخر بالأنساب و التبجح بالسؤدد، يدل ذلك على قول الرسول صلى الله عليه لحسان: " اذهب إلى أبي بكر، فهو أعلم بمثالب القوم" و قوله: " كيف تهجو قريشا وأنا منها ؟.فقال: أسلك كما تُسل الشعرة من العجين".

فليس من الشك أن الشعر ظل في عهد الرسول عليه الصلاة و السلام جاهليا. فلما خضعت قريش و سائر العرب للدين الجديد، خرست الألسنة اللاذعة و فر الشعر الجاهلي ثانية إلى البداية، و انصرف المسلمون إلى حفظ القرآن و رواية الحديث وجهاد الشرك، فخفتَ صوت الشعر لقلة الدواعي إليه، فما كان يظهر إلا الحين بعد الحين في صادق المدح والرثاء، و تساهل الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أثاب عليه، و حتى قال فيه : " إن من البيان لسحرا و إن من الشعر لحكمة." [1]

*الشعر في عهد الخلفاء الراشدين :

تلك كانت حالة الشعر في عهد النبوة، وأما الحالة التي بعدها فأقل شأنا وأحط مكانة لذهاب المعارضة ولشدة الخلفاء في تأديب الشعراء، وانصراف همم العرب إلى الفتوحات ولكن الدين قد بدأ يفعل في النفوس، ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثر في الأذهان، فظهر أثر ذلك ضئيلا في شعر المخضرمين " كعب بن زهير والحطيئة ومعد بن أوس والنابغة الجعدي، ولكن أكثره لا يتعدى بعض الألفاظ الإسلامية كالمعروف والمنكر والصلاة والزكاة والجنة والنار والمهاجرين والأنصار ولذلك نرى من المبالغة

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، ط29، 1985، ص118

جعل المخضرمين طبقة ممتازة، فإن شعرهم استمرار للمذهب الجاهلي لم يتأثر عرضيا كضعف الأسلوب في شعر حسان" أو قلة الإنتاج في قريحة "لبيد" أو كثرته عند " الحطيئة والنابغة الجعري" مثلا والأشبه بالحق أن نقرر ما أشرنا إليه من قبل، وهو أن الشعر العربي ظل في الجاهلية والإسلام واحد في مظهره وجوهره ونوعه حتى أواخر عهد بني أمية والتأثير الذي ناله من الموالي والسياسة والحضارة والدين لم يعطفه إلى طرق جديدة وإنما وسع في معانيه ومناحيه، فقوى بعض أغراضه كالهجاء وتميز البعض آخر كالغزل، وهل يمكن التجديد في الشعر وجل الشعراء إنما يأتون من البادية، والخلفاء يتعصبون للبادية والرواة والأدباء واللغويون يطلبون اللغة في البادية؟ فضلا عن أن العرب بطبيعتهم يميلون إلى التقليد ويجلون القديم المأثور من سؤدد وخلق وأدب، فليس من سبيلنا أن نتكلف البحث العقيم في القرن الأول عن مذهب شعري جديد يصح أن يكون أساسا لأدب عربي جديد فإن مذهب " عمر بن أبي ربيعة" في الغزل لا يختلف عن مذهب " أمرئ القيس" إلا في المعاني الحضرية، ومذهب "جرير والفرزدق" في الهجاء لا يختلف عن مذهب "الحطيئة والشماخ" إلا في المعاني السياسية فلنقصر الجهد إذن على تحليل نهضة الشعر في العراق والحجاز على عهد بني أمية وبيان مظهرها وأثرها في الإنتاج العقلي للعرب.

كانت القحطانية والعدنانية، والعلوية والبكرية، والهاشمية والأموية والعروبة والشعوبية، تضطرم في نفوس المسلمين اضطرام البركان قبل أن يثور، ولكنها كانت تضعف حينا وتشتد حينا تبعا لسياسة القائم بالأمر ونظام حكمه فالقبائل كانت تنزل منازلها في البلاد على هذه الفكرة، والبصرة والكوفة تخططان لهذه الفكرة، والخلاف ينجم في فارس والشام والعراق والأندلس من هذه الفكرة، وكلها تدور على الزعامة والإمامة فمن كان سيدا في الجاهلية يريد أن يكون سيدا في الإسلام كأن العرب لم يفهموا من الدين الجديد إلا أنه طريق إلى السلطان وسبيل إلى الغلبة والثروة[1] والحكم لا غير وقد كان البعض من

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 120.

شيوخ القبيلة " كقيس بن عاصم والأحنف بن قيس" يعرضون على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا في دين الله لا على انه دين الحق بل ليكون لهم الأمر من بعده

ظلت هزة الروح العصبية مكظومة في عهد الشيخين لأخذهما الأمور بالحزم والعدل ولانصراف العرب إلى المغنم عن طريق الجهاد والفتح فلما ولي الأمر "عثمان" ووهنت اليد المتصرفة فسندتها يد أخرى وتشتت الرأي فلم يصدر عن الخليفة وحده وحكم آله الناس بعصبيتهم الأموية، لا بقوميتهم العربية، وكان المسلمون يومئذ قد أفاءت عليهم الفتوح والمغانم التي أدت إلى البطر، فاستيقظت الفتنة وقامت الثورة وانتهت بمقتل عثمان وتجددت الخصومة على إثر ذلك بين علي ومعاوية" وقتل الإمام فتحرج الأمر وانشقت العصا وانصرف العرب عن جهاد العدو إلى جهاد أنفسهم باللسان والسيف وتفرقوا أحزاب وشيعا بعضها للدين وبعضها للدنيا ففي الشام حزب يشايع بني أمية، يرصد لهم الأمر ويمكنهم من الملك وفي الحجاز حزب يناصر "ابن الزبير" يؤيده في دعواه وينصره في دعوته وفي العراق حزب يشايع أهل البيت ويطلب لهم بحقهم في الخلافة وهنالك حزب ديمقراطي ينكر الأحزاب ويكفر الزعماء ويقول بالشورى في الخلافة والأحزاب الأربعة توزعت أهواء المسلمين وآرائهم إلا طائفة قليلة لزمت الحياد وأرجأت الحكم بين المختلفين إلى قضاء الله يوم الدين وهم المرجئة واتصلت بين الأحزاب الخصومة، وأعنف فيها الخصوم ولكن معاوية بعد أن تم له الأمر كان يصيب معارضيه بالدهاء والعطاء والحزم حتى استوقف له الأمر طيلة حياته إلا من جهة الخوارج، فلما مات أفاق خصومه من حذر سياسته فزعزعوا عرشه حتى أدركه مروان وبنوه" فسندوه وأقعدوه وفي زمن عبد الملك اشتدت المعارضة واستعرت الحروب وكثر المطالبون بالخلافة وبسط سلطان العرب وزخرت مواد الفيء واكتمل شباب الجيل الذي نشأ في الإسلام واغتدى بشمر الفتوح واستمتع بجمال الحضارة واختلط بأنماط شتى من الناس وساهم بيده ولسانه في هذه الفتن فبلغ الأدب العربي غاية ما قدر له أن يبلغها فهل يمكن أن يظل الشعر بنجوة عن هذه الحياة الصاخبة والعصبية الغالبة والأحزاب المتحاربة، والأهواء[1] المتضاربة والشعر ربيب الخصومة والجدل، تبعثه الحزبية ويقويه الهراش وتوحيه شياطين الفرقة و الواقع أنه كان وقود هذه الفتن ولسان هذه

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص120، 121.

الأحزاب يصطنعونه كما نصطنع نحن الصحف اليوم فيناضل عن زملائه ويدافع عن آرائه يصطبغ بصبغة العقيدة التي يدعو إليها ويدافع عنها والعرب جميعا ساهموا في هذه الخصومات وأكثرهم يقول الشعر وخصوصا في هذه الأزمات وأن الأمويين استمالوا بالمال هوى الشعر، يعيش عليها بعض الناس وأدركت سبب وفرة الشعر وكثرة الشعراء في عصر عبد الملك إذا بلغ عدد الفحول المائة، وليس من شك أن الشعر وإن حافظ على طبيعته وطريقته قد تأثر بهذه الحياة الجديدة، بألفاظه ومعانيه وأغراضه، لكن هذه الحياة لم تكن كلها نزاعا سياسيا ولا جدلا دينيا حتى يقف أثره عند هذا الحد وإنما كان لها مظاهر أخرى تختلف باختلاف البيئة والبلدان فمثلا كثر في العراق الهجاء والفخر لأن فيه تلون في العصبية القبلية فظهرت ألوان شتى من التحزب للمكان والعقيدة والجنس وتغلبت فيه النزاعات الجاهلية على التعاليم الإسلامية. كما عرف آنذاك الهجاء والمدح والمفاضلة وغيرها.

ومن بين النماذج نذكر ما قاله كعب بن زهير في الجدال الذي دار بينه وبين النجاشي ملك الحبشة في المفاضلة بين "علي ومعاوية" و أهل العراق لها كارهينا:[1]

وقالوا علي إمام لنا فقالوا رضينا ابن هند رضينا

وفي الهجاء نذكر بعض ما كان يدور بين الفرزدق وجرير من نقائض:

قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا: بيتا دعائمه أعز وأطول.

بيتا زرارة محتب بفنائه ومجا شع وأبوا الفوارس نهشل

فيجيبه جرير :

أخزي الذي سمك السماء مجا شعا وبنى بناءك في الحضيض الأسفل

بيتا يحمم قينكم بفنائه دنسنا مقاعده خبيث المدخل

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 142.

وفي المدح نذكر ما قاله الكميت الأسدي حين مدح مسلمة بن عبد الملك

فما غاب عن حلم ولا شهد الخنا ولا استعذب العوارك يوما فقالها

وتفضل أيمان الرجال شماله كما فضلت يمنى يديه شمالها

2- النثر:

1 الخطابة: كان ظهور الإسلام بالدعوة العظمى من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها وجعلت الأمر في أيدي رجالها فإن الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع الفتن، وردع البدع، وتحميس الجند، كل أولئك من أغراض الخطابة وكان لها من القرآن وحججه معان لا تنضب ومدد لا ينفذ ولما اختلف المسلمون بعد مقتل عثمان وتعددت الفرق ارتقت الخطابة رقيا عظيما لاعتماد كل حزب عليها في نشر نزعته وتأييد دعوته.[1]

وأهم ما يميزها في هذا العصر عذوبة ألفاظها ومتانة أسلوبها، وقوة تأثيرها، واقتباسها من القرآن، وانتهاجها منهجه في الإرشاد، والإقناع، وابتدائها بحمد الله والصلاة على رسوله.

وظل العرب على ما ألفوه في الجاهلية من لوث العمامة واتخاذ المخصرة، والوقوف على نشر من الأرض والخطبة تكون من قيام إلا الوليد بن عبد الملك الذي خطب وهو جالس.

وجملة القول إنه ليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر لانصراف العرب عن الشعر إليها واعتمادهم في الدين والسياسة عليها.

وأشهر الخطباء الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وشعبان بن وائل وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف وقطري بن الفجاءة.

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 192.

والنماذج في هذا الفن كثيرة نذكر منها خطبة لأمير المؤمنين " عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيها.

أيها الناس إنه أتى عليَ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما لله وما عنده ألا وإنه قد خيل إلي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون ما عند الناس ألا فأريد والله بقراءتكم وأريد بأعمالكم فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل وإذا النبي صلى الله عليه وسلم فإنما أعرفكم بما أقول لكم ألا فمن أظهر لنا خير ضننا به خيرا وأثنينا به عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه.[1]

أقعِدوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلعة وإياكم ألا تدعوها تنزل بكم إلى شر غاية إن هذا الحق ثقيل مريء وإن الباطل خفيف وبيئ وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة.

ومقطع من خطبة للحجاج بن يوسف الثقفي لما قدم أميرا على العراق

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللِحا.

2 الكتابة: كان أوائل العرب في الصدر الأول كتابا بالطبع يملون أو يكتبون ما يريدون بأسلوب موجز ولفظ فصيح فلما امتدت ضلال الخلافة وفاضت موارد الفيء اضطرهم ضبط ذلك إلى إنشاء الدواوين فدونها عمر ثم عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل مصر

ففي العراق وفارس بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية حتى حذفها من العرب طائفة صالحة سدوا حاجة الدواوين فحولت كلها إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان وبن الوليد"

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 193، 194.

ثم ثقلت أعباء الدولة على الخلفاء فاتخذوا نواميس من كتاب العرب وأدباء الموالي وفي هؤلاء من وقف على أنظمة الفرس والروم فوضعوا للرسائل قيودا وحدودا أوشكت ان تصير بها صناعة[1].

أما أسلوبها كان جزل الألفاظ، فخم التركيب، واقفا عند الغرض خاليا من التطويل والتجميل، والمبالغة جارية فيه الضمائر على قانون الوضع فلا تستعمل ضمائر الجمع في كلام المتكلم و خطاب الواحد، و كانت تبدأ بالبسملة و قولهم : من فلان إلى فلان أما بعد بسم الله الذي لا إله إلا هو وتختم بالسلام على من اتبع الهدى، فلما ولي الخلافة "الوليد بن عبد الملك" أمر بتجويد القراطيس، و تفخيم الخطاب وألا يكاتب بمثل ما تكاتب به السوقة .و جرى العمل على ذلك من بعد، حتى استخلف " عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك وحملهما الورع ومقت البدعة على الرجوع بالكتابة إلى نهج السلف.

على أن نظام الكون وطبيعة الناس في هذا العهد أبيا هذا الجمود، فجاء " عبد الحميد الكاتب" فأسهب في الرسائل ونمقها ورققها وأطال التحميدات في أولها وتبعه في ذلك سائر الكتاب وجملة القول إن النثر في أربعين سنة خطا في سبيل الكمال بفضل الدين والفتوح خطوة واسعة فانتقل من السجعات القصيرة المفككة والمعاني العامة المجملة إلى هذا الأسلوب المحكم المطرد السياق، المختلف الغرض العميق الأثر كما هو في رسائل الإمام علي وخطبه وهو تقدم سريع لم يضفر بمثله الشعر ومن بين فنون النثر نجد الأمثال والحكم والرسائل والوصايا وغيرها.

وهناك عدة كتاب برزوا في مختلف هذه الفنون ففي الحكم مثلا نذكر "أبوبكر الصديق ومن بين أقواله:

- صنائع المعروف تقي مصارع السوء .
- الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده.
- ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر

[1] المرجع نفسه: ص 213.

ومن الرسائل نذكر ما كتبه " عبد الله بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه يعاتبهم"[1]

أما بعد: فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك.

وذلك أنك ابتدأتني بلطف من غير خبرة، ثم أعقبتني جفاءا من غير جريرة أطمعني أولك في إخفائك، وأيئسني آخرك من وفائك فلا أناني اليوم مجمع لك إطراحا ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك .

ومن الوصايا نذكر وصية علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن إحفظ عني أربعا وأربعا لا يضرك ما عملت معهن: أغنَى الغِنَي العقل وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق يا ابني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عنك القريب.

وهذه المواضيع تندرج تحت قسمين رئيسيين وهما:

أ- أدب الدعوة والدين: فالقسم الأول من الأدب الإسلامي إنما يوجد في مجالات الدعوة

والتوعية الإسلامية ونصوص المبتهلات والدعاء وفي التعبير عن الكلمة الإسلامية، وهذا القسم واضح المعالم وبين الملامح في الإسلام وله أمثلة كثيرة في كلام الدعاة والصالحين.

ب-الأدب العام: أما الأدب الثاني فربما يشك في أمره ويظن أنه ليس من الإسلام، لا يحمل

دائما شعارا إسلاميا ولكنه يدخل في الإطار الإسلامي مادام يكون خاليا مما نهى الله عنه، فقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب فإنه استمع إلى شعر الأدب الجاهلي ونثر العهد الجاهلي بدون أن ينعى عليه، ويدل على ذلك قبوله لشعر "كعب بن زهير" وإعطاءه جائزة عليه وتحدثه بحديث أم زرع وقوله بعده أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنا لك كأبي زرع لأم زرع وقد جرى على سنة خلفائه كما ظهر من استماع سيدنا

[1] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 214، 215.

"عمر بن الخطاب" لقصيدة رثاء"مالك بن نويرة" ورغبته لكون مثل هذا الرثاء لأخيه زيد أيضا[1]

وكان ذلك لكون هذه النصوص الأدبية غير خارجة من الحدود المسموحة للأدب وكلما خرجت نصوص أدبية من هذه الحدود المرسومة استدركوها وحكموا عليها بحكم الإسلام كما ظهر من سيدنا "عمر بن الخطاب" نفسه كما ثبت لديه أن "الحطيئة" أساء إلى سمعة الصحابي الجليل "الزبر قان بن بدر" بهجائه له، ولم يجوز له ذلك لان "الزبر قان" لم يظلمه ولم يبخس حقه ولا أساء إليه بل إنما كان أمره قد قرأه للشاعر لم يبلغ مبلغ رضاه ورغبته وكأن "الحطيئة" يقوم بمثل هذه الإساءة إلى كرامة الناس بصورة عامة ومتكررة فعاقبه سيدنا "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه معاقبة صدت شعره من وصوله إلى الناس ثم أطلق سراحه بعد فترة من الزمن وبعد توبته من قول السوء وشهد بذلك أيضا ما وقع بين الشاعر الكبير"جرير" والخليفة المسلم سيدنا "عمر بن عبد العزيز".

فالقسم الثاني من الأدب الإسلامي قد يشتبه أمره في نظر بعض الناس لعدم وضوح حاله وخضوعه الملموس للإسلام فإنما ينظر إليه من ناحية إلتزامه بالإطار الإسلامي ويقبل على أساس تقيده بالقيود المرسومة ويشطب على أساس انحرافه عن ذلك وهذا الشطب إنما يكون في صالح المجتمع الإسلامي، وصالح الفرد المسلم بل وفي صالح الإنسانية كذلك لأن القيود المرسومة للأدب في الإسلام هي قيود صلاح وبناء للإنسانية جمعاء فإن الإسلام لا يعارض إلا الفاسد والمفسد ويستحسن الحسن منه ويمنع القبيح عنه.[2].

[1] محمد الرابع الحسني، الند ويا الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط1، 1405، 1985.ص 30،31
[2] محمد الرابع الحسني، المرجع السابق، ص 31

المبحث الرابع: تحديات تواجه الأدب الإسلامي:

مما سبق يمكننا أن نتبين أهم التحديات التي تواجه الأدب الإسلامي وهي تحديات ليست بسيطة ولا يمكننا تجاهلها، والتصدي لها لا يكون بالحماس المجرد أو النوايا الطيبة فقط، ولكن بالفهم العميق لما تمثله تلك التحديات من تيارات وخاصة بعد أن تغلغلت في البنية الأدبية لشعوب العالم العربي خاصة، والإسلامي عامة بل وأصبح لمن يحملون رايتها مكانة الأستاذية والقيادة، وقد حدث هذا الخلل لعدة أسباب منها:

إننا كإسلاميين لم نعط الأمر حقه من الاهتمام ولم ندرك أبعاد الآثار الفعالة للأدب بصورة صحيحة فأغفلنا سلاحا من أهم الأسلحة في المعركة ومنها عدم الحرص على ضبط مفهوم الأدب الإسلامي وإشاعته وعدم تقديم نماذج كافية ومقنعة منه و كذا إغفال الجوانب النقدية وفق المنظور الحديث، وجهود النقاد في أنحاء العالم، كما لا نستطيع أن نغفل أيضا الظروف السيئة التي كبتت الحركة الإسلامية داخليا وخارجيا وضياع الحرية في الممارسات الحياتية، لكن أخطر العوامل التي عطلت مسيرتنا كانت نابعة من تلك الفلسفات الحارة والجانحة التي غزت عالمنا واستطاعت أن تخطف أبصاره وتوازنه ببريقها وصيغها الساحرة الفاتنة.[1]

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 40

ومن البديهي أن تعرف عدوك كي تحكم له أو عليه ولكي تستطيع تجنب ما سيرده إليك من سهام قاتلة وتتجنب الأسلوب الأمثل لردعه أو رده على عقبيه ومن هذا فهناك عدة تيارات يجب الانتباه إليها والحذر منها، من بينها:

1) اللامعقول:

لقد أكد "مالرو" على أن العصبية سيطرت على اللحظات الجوهرية في حياة الأوروبي أي سيمة أوروبية ترتبط بمكان وزمان وطبيعة خاصة، كما أشار "تاين" (إلى أن رده اليأس المتميز تشيع في نبرة العبثيين، ولقد استطاع بعضهم أن يلخص مأساة العبثية أو اللامعقول في جملة صغيرة حينما قال وجوب غياب الإله لكي يوجد اللامعقول) والمعنى القاموسي لكلمة لا معقول غير منسجم مع العقل أو اللياقة: التضاد مع العقل: أو مضحك أو سخيف وفي قاموس المسرح جاء عن اللامعقول ما نصه:

مصطلح يطلق على جماعة من الدارسين في حقبة 1950 لم يعدوا أنفسهم مدرسة ولكن يبدو أنهم كانوا يشتركون في مواقف بعينها نحو ورطة الإنسان في الكون....وتشخيص الدراسة التي قدمها الوجودي"ألبير كامي" مصير الإنسانية على انه انعدام هدف في وجود غير منسجم مع أحواله...والوعي بهذا العوز للهدف في جميع ما نفعل يؤدي إلى حالة الكرب الميتافيزيقي (الماوراء طبيعي) وذلك هو الموضوع الرئيسي لدى كتاب مسرح اللامعقول مثل "بيكيت" أو "أونيسكوا" و"نبتر" وغيرهم وبحلول عام 1962 استنفذت الحركة قوتها برغم أن آثارها في تحرير المسرح التقليدي ما تزال ماثلة [1]

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 41.

لقد جعلوا من المسرح مركز تحول لصراع الخيال البشري السقيم الدائم ضد القناعة الدينية وعدم الاكتراث الأخلاقي والانعزالية الاجتماعية وهذا نابع من إيحائهم بأن الشقاء دائم وأن العالم كابوس وجودي يغيب عنه العقل والسماح والأمل ولهذا نرى مسرحهم ينطلق من الآتي:

- خيبة الأمل.
- ضياع الضمير.
- انعدام المعنى في الحياة.
- ضياع المثل العليا
- غياب أي تفريق واضح بين الوهم والحقيقة.
- التهريج والهراء اللفظي.
- تغليب عناصر الحكاية المجازفة.
- الاهتمام بموضوعات الموت، والعزلة، والتغريب، والرؤية النقدية للعالم، والقلق والخيبة، والشعور اتجاه غياب الحلول، بعد أن رفضوا الأنظمة القائدة والأسياد والفلسفات التقليدية.

ولقد حاول المحللون دراسة هذه الظاهرة في الأدب والفكر فعزوها إلى طبيعة الحياة الآلية الجافة في الغرب، واضطرار الإنسان لأن يركع أمام الحاجة ويستسلم لسلطان الآلة وحركتها المنضبطة بلا عواطف أو شعور بل استطاعت الآلة أن تتبوأ مكانة أسمى وأهم من مكانة الإنسان في عالم الصناعة الرهيب، مما دفع بالإنسان إلى أن يتساءل عن قيمة وجوده، في هذا العالم الآلي المادي، الذي لا يحفل إلا بالأرقام، والإنتاج، والوفرة، وتحقيق الربح، والنمو السريع،والانتصار في معركة المنافسة الضاربة...لم يعد الإنسان مخلوقا مكرما مشرفا بل أصبح جسدا، وعملا، وطعاما، ومخلفات وأصبحت الساعة تحدد حركاته وسكناته حتى أصبح يعتبر الزمن قوة تدمير هائلة لخلقه وفقد التواصل مع الآخرين وفضل أن يرتمي في أحضان العزلة والتغريب والشقاء ويفسر أحد الدارسين آراء ألبير كامي بقوله "إن كان في الحياة خطيئة فهي ليست في اليأس من الحياة، قدر ما هي الأمل في حياة

أخرى أي أن الخطيئة في رأيه هي الإيمان بالعالم الآخر وهي محاولة منه لقتل الأمل نهائيا في نفوس التعساء، والمعذبين والمقهورين في عالم المدينة الأوروبية الحديثة.[1]

ومع ذلك فإن الأدب المسرحي اللامعقول لا يجادل بل يعرض فقط تلك التصورات المريضة والكوابيس المخيفة، والطرقات المحزنة ولما لا وقد أصبح الإنسان بلا هدف أصبح شيئا بعد أن كان كائنا حسب قولهم وأصبحت اللغة أيضا شيء ميتا يحد من التواصل ويؤكد العزلة.

لقد أحدثتا لفلسفة في العالم الأوروبي نزاعا هائلا وانعكس ذلك على فكر الإنسان وسلوكه وعلى الآداب التي يفرزها والتي لا تحمل رسالة واضحة يمكن الاتفاق أو الاختلاف معها وتقدم شخصيات تحب أو تكره فضلا بما يلتصق بأدب اللامعقول من فقر في الأفكار، وملل في التكرار ولهذا نرى أن المنصفين من مفكري الغرب يقولون إن العيش لا يمكن الدفاع عنه في عالم تثبت الأرقام أن غالبية سكانه يعتقدون أن بداياته تجعل الحياة ذات نظام وهدف ومع الكفر بالله عند العبثيين غالبا إلا عبثية "بيكيت" و"كافا" تدرك أن الحياة البشرية بدون الإيمان بالله تواجه الخيبة، ومع ذلك فإنها عدا هذه النقطة يدمرون الكثير من القيم الخلاقة المتألقة التي جاء بها رسل الله وأنبيائه ولهذا يقول "مارونش" اللامعقول مرادف للتافه و"المضطرب" ويقول آخر"إنها مرادف لكلمة "الفوضى"

لكن هل نقول اللامعقول عندما نتحدث عن الأدب؟

ونقول العبثية عندما نتحدث عن الفلسفة؟

هل هما وجهان لعملة واحدة؟[2]

ثم إن هذه وتلك تتداخلان مع الوجودية، برغم وجود بعض الاختلافات ولما لا ونحن نرى كتابا مثل"البيرتامي" وجوديا وعبثيا في الوقت نفسه وإن غلبت عليه الصفة الأولى والأمر غاية في البساطة، لأن الحدود القاطعة بين مذهب وآخر لا وجود لها بل إن أصحاب المذهب الواحد قد يختلفون أشد الاختلاف في الرؤية والتفسير والتعبير.

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 42.
[2] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 43.

إن العقيدة الإسلامية وما يصاحبها من قيم وتشريع وآداب، والمنهج الإلهي القويم قد استجابت للفطرة السليمة، وأعطت تصورات واضحة للإنسان وماهيته وطبيعة تكوينه وسلوكه ثم مختلف نوازعه وأهوائه ورسمت الخطوط العامة لعلاقاته المتعددة الجوانب والنواحي، فالحرية مكفولة تماما لهذا الإنسان الذي كرمه الله وبين له سبحانه وتعالى طريق الخير وطريق الشر" وهديناه النجدين" (سورة البلد الآية7) وعلمه أن الحياة دائمة وصراع مع الشيطان ومع الشر وزوده بالأسلحة التي يمكنه أن ينتصر بها في هذه المعركة الحاسمة وأكد لعبده أن النصر له ما استمسك بكتابه وسنة نبيه[1].

{حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين}[2]

{إِنَ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيهِم سَلْطَان}[3]

{إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبتْ أَقْدَامَكُمْ}[4]

{اسْتَجِيبُوا للهِ والرَسُول إِذَا دعاكم لما يُحْيِيكُم}[5]

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَبعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مَنْ الْمُشْرِكِين}[6].

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 44.
[2] الآية 47 سورة الروم
[3] الآية 65، الإسراء
[4] الآية 07، محمد
[5] الآية 24، الأنفال
[6] (سورة يوسف الآية 180)

" قُلْ إِنَ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَهِ رَبِ العَالِمِين" [1]

هذه بعض الآيات تؤكد أن منطقاتنا العقائدية أو الفكرية قد حمتنا من براثن السقوط في متاهات الخوف، والعزلة، واليأس، والكفر، ولم تدفع بنا إلى رذيلة الوثنيات القديمة والحديثة في تحدي الله والقدر، ولم تجعل من الموت كابوسا مزعجا، ولا حجة للهروب من الحياة والجهاد الأعظم فيها، ولم تنظر إلى الدنيا على أنها نهاية المطاف، وهكذا أشاع الإسلام قيم الحب، والخير،و الفضيلة، وأجل الطيبات،والاستمتاع بها بالأسلوب الصحيح، وحرم الخبائث والشرور والآثام لحماية الفرد والمجتمع ومجد العقل والوعي والنظر إلى الأمور بروية، وحكمة، واعتدال كما اعتبر مشاكل الناس، والحياة، وما نصطدم به من سلبيات أمر لا بد منه، لكنه أوضح لنا كيف نواجه تلك الأمور المعروفة عن وعي وبصيرة حتى تتقدم الحياة في طريق النمو والازدهار وحتى ترفرف رايات الاطمئنان والرضا فوق جميع من يعيشون على هذه الأرض الشائعة.[2]

ومن هنا نستخلص أن الأدب الإسلامي ليس أدب يأس وانتحار لكنه أدب أمل وحياة.

---

[1] سورة الأنفال

[2] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الثاني

الأدب الإسلامي، جدلية الحوار والصراع

- المبحث الأول: المرجعية القرآنية للأدب الإسلامي
- المبحث الثاني: حوارية الأدب الإسلامي

الأدب الإسلامي، جدلية الحوار والصراع:

سنحاول من خلال هذا الفصل الوقوف على فضاءات الحوار والصراع في النصوص القرآنية وأساسيات مرجعيتها في الأدب الإسلامي كون هذا النص جاء قبل كل شيء محررا للفكر من عقائد بالية كابحة لكل إبداع، مناديا للتفكر والتدبر في الموجودات. دافعا الذات الإسلامية نحو التوسع في النتاج الفكري، إذ وصلت أوج عطائها وازدهارها الذي رافق الحضارة الإسلامية طيلة قرون من الزمن، إلا أن هذا لا ينفي وجود الأدب داخل المجتمع الجاهلي.

المبحث الأول: المرجعية القرآنية للأدب الإسلامي:

لقد نزل القرآن في وسط جاهلي ليس لجهالته القراءة والكتابة وإنما الجهل المضاد للعلم.[1] أي الخلط والخشونة في الطباع، إذ نجد أن اللغة التي نزل بها القرآن بصياغتها عالية المستوى وتعابيرها البليغة، أتت في مجتمع بلغت فيه اللغة أوج عطائها ونضجها بفعل المناظرات الشعرية التي كانت تقام في أسواق مكة وما جاورها مثل "عكاظ"، "مجنة" هذا فضلا عن مجموع المعلقات التي مثلت براعة العرب في مجال الشعر بالإضافة إلى الخطب الدائرة آنذاك بين القبائل.

إن الصورة التي أتى بها النص القرآني وجدت أرضية لغوية خصبة سمحت بعملية تفاعل بينه وبين المجتمع الذي جاء فيه من جهة، وبين اللغة الجاهلية واللغة القرآنية من جهة أخرى، فالثانية أمدت الأولى برفعتها وتناسقها فأضفت عليها مزيدا من البلاغة والصياغة رفيعة المستوى، إلا أن هذا لا يلغي منطق الصراع في الفترة الأولى من الالتقاء بين الثقافة الجاهلية المتناهية.

ولإبراز هذه النقطة سنُعَرج على الظاهرة الثقافية في هذه الفترة سعيا لتوضيح الوضعية التي ارتسمت للأدب الإسلامي لننتقل بعدها للأصول الإسلامية للأدب العربي.

[1] مروة حسين: النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية- المجلد الأول- دار الفرابي- الطبعة 2، الجزائر 2002، ص 420

أ-الظاهرة الثقافية: ففي العهد الإسلامي الأول، نجد أن مختلف أشكال الظواهر الثقافية بما فيها الأدبية خضعت لضرورة الصراع بين الدعوة الإسلامية وخصومها، فالشعر والخطابة والقصص الشعبي كان طوال سنوات هذا العهد تعبيرا عن أحداث هذا الصراع أو عن وجهات نظر بين الفرديتين[1]، كما عرفت فترة استقرار الإسلام في دار الهجرة، وبعد خضوع مكة لسلطانه وانتشار دعوته في مناطق الجزيرة خفوت لصوت الشعر بمقابل الخطابة، إلا أن الظاهرة البلاغية الخلابة التي اتسم بها النص القرآني احتلت المنزلة العليا فوق كل أشكال الظواهر الأدبية والفنية آنذاك، فقد حمل النص القرآني مميزات جعلته متفردا عن الحديث النبوي، فما بالك عن الأدب في عامته، فإذا أردنا الوقوف على القيمة الأسلوبية لهذين المرجعين اللغويين (القرآن-الحديث النبوي) سنجد أن الأحاديث - رغم تميزها الملحوظ - تأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن إذن مرد هذا الفرق يعود لاعتبار القرآن وحيا إلهيا لا من حيث مصدره ومضامينه فقط، بل كذلك من حيث ذلك الشكل المتفرد للقرآن في أدب اللغة العربية إطلاقا فجاء معجزا لا يمكن الإتيان بمثله: **{قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** (88 **سورة الإسراء**) **كما حمل الأمثال والعبر: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** (27) **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[2].

[1] مروة حسب ، المرجع السابق، ص423

[2] الآية27، سورة الزمر.

كما جاء يخصص الأولين{**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** 2 **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ**3}[1].

فالحديث النبوي رغم ارتباطه بالقرآن من حيث المحتوى العقدي التشريعي يبقى طابعه الأسلوبي بشري صادر عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم "**قُلْ إِنَمَا أَنَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِليَ إِنَمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**"[2].

بالإضافة للفرق من الناحية الوظيفية، نجد القرآن ذو وظيفة أهم وأرشق وأشد حاجة إلى هذا التعبير الأسلوبي الخلاب والمتميز في كونه لسان الدعوة وأداتها المحركة لمشاعر الناس ومدركاتهم وبواطن وجدانهم بينما الحديث يأتي لتأدية وظيفة تعليمية وتشريعية متصلة بحالات الناس الجزئية وأنماط سلوكهم اليومية فليس بحاجة لأسلوب الإثارة البلاغية المترفعة على الخطاب اليومي للأفراد.

لقد كان للإسلام كما سجل القرآن موقفا واضحا من الشعر والشعراء، فقد شجب ذلك اللون من الشعر الذي انتشر في الجاهلية من مغالات في المدح أو الهجاء أو انحراف في العقل ولم يقبل إلا بنوع واحد هو المتصل بالأخلاق بالإضافة للشعر الحماسي الذي كان يحفز المجاهدين في المغازي والمواقع.

لقد التمس الأدباء منهج القرآن في الأسلوب ومثله الأعلى في المضمون فكان أبرز مفاهيم البلاغة في الأدب العربي هو "الإيجاز" فجاءت الألفاظ على حدود المعاني كما يقولون[3] ، ونشأ النثر العربي المرسل الخالي من الصنعة المتكلفة، القائم على صدق الإحساس وعمق الفكرة، فجاء الأدب الإسلامي بهذا الاتصال الوثيق مع القرآن أكثر عقلانية وأقرب للدقة

---

[1] الآية .2-.3 سورة يوسف

[2] الآية 110 سورة الكهف.

[3] أنور الجندي- خصائص الأدب العربي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان، ص 152

العلمية في التعبير عن الهوى والإسراف في الخيال، كما اتسم بطابع الإيجاز في الأسلوب المنكر التفصيل والإسراف في تصوير دقائق الوقائع.

ب-المبادئ الإسلامية في الأدب العربي:

لقد جاء الإسلام بمبادئه التي حملها النص القرآني وثبتتها الأحاديث النبوية فعزز المفاهيم الإنسانية من الرحمة والكرامة والثقافة المتبادلة، متمما الأخلاق التي وجدت في حياة الجاهلية لقول النبي صلى الله عليه وسلم "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق". فقد عرف العرب بالمروءة والكرم، وجاء الإسلام داعيا لوحدة الجنس ونبذ كل عنصرية، فعرف الفكر الإسلامي عامة بالتسامح وتقدير الأديان والكتب السماوية والأجناس، كما كان الصدق من أبرز معالم الإسلام التي أهداها للأدب العربي، فجاء أبعد للثقة بالله المستمدة من مبدأ الإيمان إضفاء صبغة تفاؤلية على الأدب العربي الإسلامي بعكس ما يتواجد عليه الأدب الغربي الذي ساده الوجدان المتشائم في الآداب، والفنون، والفلسفة، والأخلاق التي يستمد هذه الصورة من الاعتقاد بالخطيئة الأصلية، ودون أن ننسى التزاميه الأدب الإسلامي الواقفة على قيمة الحرية المضبوطة إذ تقوم هذه الحرية على أساس تحرير العقل الإنساني من كل وثنية وجهل، وتحرير النفس الإنسانية من الاستعباد، والإذلال، والفقر، والمعنى الذي تأخذه الحرية في الإسلام لا يدل على الإباحة والانطلاق فهو ينكر إطلاق الشهوات فجاء الأدب فيه محتشما، وسطيا في حريته.

كما يبرز مبدأ التكامل في الإسلام القائم على ارتباط الإنسان في حياته بين ما هو روحي (نفسي) وما هو جسدي (مادي)، وكذا الحياة الاجتماعية، فالإسلام يشكل منهجا متكاملا يرتبط فيه العقل والجسم والعلم، والدين، والروح، والمادة، والدنيا، والآخرة، فيتجلى في الأدب الإسلامي بالسعي إلى الشمول والإحاطة في مواجهة الانشطارية والفصل في القيم التي هي دعامة الفكر الغربي القائم على إعلاء المادة على حساب الروح.

ذلك بالإضافة إلى أننا نلحظ تمازجا بين العروبة والإسلام الذي يمثل روح الفكر، والحضارة فيما تمثل القومية العربية الجسد الذي تستيقظ فيه الروح الإسلامية، فظهر الامتزاج في الإنتاجات الأدبية الإسلامية بحيث لم يكن في المستطاع التفريق والتميز بينهما.

يبقى القرآن هو الذي حدد طابع الأداء العربي أسلوبا ومضمونا وأرسى قواعده، ومن طابع الإسلام استمد الأدب العربي روحه ومزاجه ونواته وذاتيته الخاصة، فقد اكتسب الأدب العربي منه طابع الحديث إلى العقل والقلب جميعا، فهو ليس عقلانية خالصة مسرفة في جفاف العلم ولا وجدانية مفرطة في الكشف والاستهواء.

إن العرب المسلمين لما دخلوا البلاد المفتوحة، لاحت أمامهم بيئة اجتماعية خلابة، ذات حس جمالي رفيع ظهر وتجسد فيها إبداع الخالق، ودعَمها سكان البلاد الحضرية بأعمالهم من بلاد الشام، والعراق، وفارس، والأندلس على عقول الأدباء وحسهم الشعري والبلاغي، فأجادوا في هذا المجال مصورين جماليات ما وجدوه في هذه الأوساط الحضرية، فجاء أدبهم خلابا بمعانيه وتصويره وتأثيره، هذا فضلا عما اكتسبوه من بلاغة النص القرآني وفصاحة السنة النبوية، بما حمله القرآن من إعجاز بياني فريد، ولكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من أسلوب بلاغي.

فقد ثمن حسهم الأدبي إلى أعلى الدرجات بوصولهم بلاد الأندلس بما تحمله من طبيعة خلابة تختلف تمام الاختلاف على ما تعودوا عليه من قسوة الطبيعة الصحراوية، إذ يقول "محمد كرد علي" في هذا الصدد في كتابه "الإسلام والحضارة العربية":"وارتقى الأدب في أهل الأندلس حتى عند النساء لشيوع التعليم في العامة، والخاصة، وغلب على الأصقاع بعينها مثل: "حلب وواد آسن، وحتى قل من أهل "حلب" من لا يعالج أدبا رائعا ولا يقول شعرا، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر، فرض من الشعر من ساعته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبته منه"[1].

والقرآن هو أول كتاب دون في اللغة العربية، فدراسته ضرورية لتاريخ الأدب، لأنه مظهر الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للمسيح، وهو موضح النثر الفني، ومنبع المعاني، والأساليب، والمعارف التي شاعت في أدب ذلك العصر، نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله، فلا هو موزون مقفى ولا هو يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر، ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع

[1] عبد الله ناصح علوان: معالم الحضارة في الإسلام وأرثها في النهضة الأوربية- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ص47

ولا تسجيع، إنما هو آيات مفصلة متزاوجة يسكت عندها الصوت، ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى وانسجامها مع روح القارئ ووجدانه. فلما سمعه العرب وهم زعماء القرض وأمراء البيان أكبروه وأنكروه، وعجزوا على أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة، فقالوا مضطربين/ إنه شعر أو فعل ساحر أو سجع كاهن. ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التي تشترك في فتنة العقل دليل على فعله القوي في نفوسهم.

والقرآن باعتباره كتابا أحكمت آياته ثم فصلت من لدن خبير، لا يجرؤ النقد البياني على أن يطير في جنابته، وباعتباره محجة الرسول تحدى به العرب أن يأتوا بسورة من مثله، تورع المسلمون أن يقلدوه فرارا من تهمة المعارضة، وتنزيها لكلام الخالق أن يتشبه به كلام المخلوق. ومما لا ريب فيه أن بعض المشركين والمتنبئين قد عارضوه إبطالا لحجته، أوانتها خالطته، على نحو ما ورد عن "مسيكة": "يا ضفدع بنت ضفدع؟ نقي ما تنقين، فلا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين". ولكن الرواة أغفلوا ذلك إما تورعا وإما ترفعا، كما فعلوا بمعارضة "ابن المقفع والمتنبي وأبي العلاء"إن صح أنهم فعلوا ذلك. وهناك طائفة من متأخري الكتاب حاولوا الجري على أسلوب القرآن إعجابا به فما حركوا في النفوس غير السخر والضجر لنزولهم عن رتبته وعجزهم عن لحاقه فكفوا. ولذلك لم يكن تأثير القرآن كبيرا من جهة إحداثه مذهبا كتابيا يدفع إليه الناس ويدور عليه النقد. أما تأثيره القوي فكان في نقله النثر من تلك الجمل القصيرة المسجوعة المفككة إلى تلك الصورة الأنيقة التي تقرأها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكتبه وخطبه، وفي خطب الصحابة التابعين ورسائلهم جمل متزاوجة، متناسقة، متطابقة، متخيرة الألفاظ، حسنة التأليف رائعة التشبيه منطقية الغرض، تنفذ من العقل والقلب إلى الصميم كذلك الأثر في النثر بوضعه المثل لمعالجة القصص والوصف والجدل المنتج والموعظة الحسنة، واستحداثه ألفاظا وتراكيب وموضوعات لا يعرفها العرب، فظلت على طوال القرون قوة للخطيب وحيلة للمنشئ، يرصع بها كلامه، وتتميز بغلاوتها ونفاستها كما تتميز اللؤلؤة الفريدة في نوع من الجزع.

ولغة قريش هي الأصل في لغة القرآن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد فيها وبعث منها، ولأن لغتها تفضل على سائر اللغات بحلاوة الجرس، ودقة الوضع، وإحكام النظم، وقبيلتها تتشرف على سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد، ولكنه نزل كذلك بلغة بني سعد بني بكر ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم، وهي إحدى لغات العجز[1] من هوازن وأفصحها، لقوله صلى الله عليه وسلم "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بني بكر".

وجاء في القرآن بعض الألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى {لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا}(سورة الحجرات الآية 14)أي لا ينقصكم بلغة من بني عبس. ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مئة كلمة ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والعبران والسريان، والقبط، كالجبت، والإستبرق، والسندس، والقسطاس، والزنجبيل، وقد صقلها العرب على لسانهم، وأجروها على أوزانهم، فصارت بذلك عربية.

وقد أثر القرآن على الأدب الإسلامي تأثيرا كبيرا، فقد خالط من القوم قلوبا قاسية فألانها، وطباعا جافية فأرقها، وأحلاما طافية فأقرها، فأكسب ذلك اللغة عذوبة في اللفظ، والرقة في التركيب، والدقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني، ووسع دائرة اللغة باستحداثه الألفاظ الدينية كالصلاة، والزكاة،والقيام، والركوع، والسجود، والوضوء، والمؤمن، والكافر...الخ، واقتضائه علوما جديدة كالنحو، والصرف، والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعاني، والبيان، والبديع، لتقرير الإعجاز فيه، وعلمي اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه. وهو الذي ضمن بقاءها تلك القرون العديدة ونشرها في مجاهل الأصقاع البعيدة، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته.[2]

[1] يقال لهؤلاء أيضا عليا هوزان، وهم سعد بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف: وفيهم يقول عمر بن العلاء، أفصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم.
[2] أحمد حسن الزيات. تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 103

ومما لا ريب فيه أن القرآن هو الأساس الأول للأدب الإسلامي وهو الأنموذج المحتذى (أسلوبا ومضمونا). ومن قبل القرآن لم يكن يملك العرب إلا نماذج من الشعر وسجع الكهان والخطب والرسائل تمثل المستوى العام الذي وصلت إليه اللغة العربية والأدب العربي، فلما نزل القرآن أعطاها مستوى من مستويات البيان والمضمون معا، وقد شهد - بلغاء العرب الذين عاشوا قبل الإسلام، وحضروا بعد نزول القرآن–على الإضافة الضخمة و الخطيرة التي أضافها القرآن إلى البيان العربي واللغة والأدب الإسلامي وسائر إطارات الفكر.

وتأتي هذه الشهادة من خصوم الإسلام أنفسهم، ولكنها لا تستطيع أن تنكر مدى عظمة هذا الأثر الذي أحدثه القرآن في النفس والعقل والوجدان العربي، ومما يروى عن الوليدبن المغيرة قوله: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما هو بقول بشر".

ومن هنا فإن أعظم نتاج الأدب الإسلامي إنما جاء من خلال تلك الإضافة القرآنية الضخمة وما تبعها من فنون وعلوم وآداب.

ولقد كان مفهوم الأدب في النطاق الإسلامي جامعا للأسلوب والمضمون معا.

ومن الحق أن يقال أن ارتباط الأدب الإسلامي بالقرآن هو ارتباط عضوي لا سبيل إلى تجاوزه أو التخلي عنه أو تغييره، وأن الصيحات التي تعلوا في محيط التغريب، والمحاولات التي جرت وتجري لفصل الأدب الإسلامي عن جذره القرآني هي محاولة فاشلة، وإذا كانت الدعوة إلى تبسيط اللغة العربية اليوم أو خلق ما يسمونه اللغة الوسطى أو اللغة المشتركة، وهي في ظاهرها دعوة غيورة، قد تلقى بعض الإعجاب ،فإن الهدف الأصيل والبعيد لها هو هدف خطير ماكر، عمل على الوصول إلى غاية مهمة: هي فصل مستوى الأدب الإسلامي الحديث وبلاغته عن مستوى القرآن، وخلق هوة بينهما، بل خلق مستوى جديد لبيان بعيد وقاصر عن مستوى القرآن، وأقل منه درجات، وبذلك تنفصم العروة بين القرآن والبيان العربي وهي أكبر أهداف الترغيب ولا يصدق "جاك بيرك"، حين يرى أن هذا الارتباط بين الأدب الإسلامي والقرآن، من شأنه أن يكون عائقا أمام الإبداع في ميدان الأدب الإسلامي ولعله هنا يلتمس المقارنة بين الأدب الإسلامي والآداب

الأخرى، ولكن هذه المقارنة باطلة ومضللة لأن القرآن سيظل يربط بين ماضي اللغة العربية وحاضرها وبين الأدب المعاصر والأدب كله خلال فترة خمسة عشر قرنا، وهو ما لم تعرفه الآداب التي لا تزيد صلتها بماضيها إلى أكثر من أربعة قرون.

المبحث الثاني: حوارية الأدب الإسلامي:

أ- ملامح حوارية الأدب الإسلامي:

يعرف الحوار حسب " ابن منظور" بأنه الجواب أو الرد أو المحاورة المجاوبة والتحاور والتجاوب ويتحاورون يتراجعون عن الكلام، والمحاورة أيضا مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره واستجار الدار استنطقها من الحوار الذي هو الرجوع والحواريون صفوة أصحاب الأنبياء الذين أخلصوا لهم، وتأويل الحوار يبين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب..."[1]

أما في "المنجد في اللغة والأعلام" فجاءت كلمة حَاوَرَ بِعدَة معان منها: حَاوَرَه مُحَاوَرَة وَحِوَارًا وَحَوَارًا: جَاوَبَهُ ورَاجَعَهُ الكَلاَمَ. وَأَحَارَ: إِحَارَة الجواب: رَدَه ومنه لم يُحِرْ جَوَابًا" أي لم يَرُد جَوَابًا. تَحَاوَرَ القَوم: تراجعوا الكلام وتجاوبُوا. استحاره: استنطقه. المَحْورَةُ والمَحْوُرَةُ: الجَواب.[2]

الحوار الأدبي عامة هو حوار يتسع كثيرا ليشمل التبادلات الفكرية والثقافية والإبداعية، والفنية، والعلمية، والدينية، والعمرانية، واللغوية، والحضارية.

فالحوار الأدبي يستلزم وجود حضارتين أو ثقافتين أي إنتاجين فمعنى الحوار حسب ما تقدم من تعريف " ابن منظور" يدل على الأخذ والرد، إذ تنبثق أهمية الحوار الأدبي في كونه يعمل على إبراز الشخصية القومية وإغنائها، بإظهار الصفحات المهمة في تاريخ الأمة العربية، ويكشف عن أهميتها كما يقدمها الهواة من الآداب لدى الشعوب الأقوى

[1] لسان العرب. ج4. ص 27

[2] كرم البستاني ، المنجد في اللغة والأعلام.، دار المشرق- بيروت- ط: 26 (1975)، - ص160

فيعرفها لديهم كما سيشهد الحوار الأدبي مرافقة النقد له فيبرز مواقع القوة والضعف فيها التي يمكن تجاوزها بعد العملية النقدية، فما حصل " لألف ليلة وليلة..دليلا قاطعا على أهمية هذا النقد والتقويم الناتجين عن الحوار الأدبي الحضاري، ذلك بعد ترجمتها للغات كثيرة في العالم وتقليدها تباينت أهميتها الزائدة من العرب أنفسهم وهو ما يؤكد " أحمد حسن الزيات" بقوله " كانت عودة ألف ليلة وليلة إلى الوعي العام والاهتمام بها في العالم العربي صدى لاكتشاف الغرب لها واحتفاله بها".

فالأدب الإسلامي باعتباره عنصرا لأهم حضارة في العالم التي تواصلت مع حضارات آنية وخاصة مع ظهور العولمة وتبشيرها بمقولات الصراع الحضاري وهذا ما استنتج عكس المقولة، فبدل الصراع كان الحوار وبدل إلغاء الحضارات ونهاية التاريخ كان العمل على إثبات وجود هذه الحضارات واستكمال مهمة التاريخ الذي لا يمكن أن يلغى.

وباعتبار الحضارة العربية لبنة أساسية في مسار الحضارة العالمية بما حملته من إنتاجات فكرية لا زالت مصدر استثمار ودراسة، كما كانت نقطة انطلاق للحضارة الغربية.

لما دخل المسلمون إلى البلدان المفتوحة، لاحت أمامهم بيئة اجتماعية خلابة ذات حس جمالي رفيع، ظهر وتجسد فيها إبداع الخالق، ودعمها سكان البلاد الحضرية بأعمالهم المنمقة من بنايات وصنائع، وقد أثرت هذه الوضعية المتميزة لبلاد الشام والعراق وفارس والأندلس على قول الأدباء وحسهم الشعري والبلاغي فأجادوا في هذا المجال، مصورين جماليات لما وجدوه في هذه الأوساط الحضرية، فجاء أدبهم خلابا بمعانيه وتصويره وتأثيره، فضلا عما اكتسبوا من بلاغة النص القرآني وفصاحة السنة النبوية، بما حمله القرآن من إعجاز بياني فريد ولكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من أسلوب بلاغي.

هذا فيما يخص تأثير العرب بصلتهم بدول أوروبا، فضلا عما تم ترجمته من آداب خصت اليونانيين على وجه التحديد والتي كان لها تأثير على مستوى الإنتاجات العلمية والأدبية خاصة أما في الجانب الذي يتعلق بتأثير اللغة العربية في لغة الأوروبيين فهناك العديد من الكلمات داخل الأصل العربي استقطبها الغربيون داخل لغتهم، بفعل إقبالهم على الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها اغترفوا منها الكثير فجاءت اللغات الأوروبية مطعمة

بكلمات عربية أصيلة حتى في ألفاظ التخاطب وكلمات المصطلحات العلمية وبخاصة اللغة الإسبانية لتليها كل من اللغة الانجليزية والفرنسية و نجد من الألفاظ العلمية ما يُعني بتركيب العين مثلا القرنية، الشبكية، السائل المائي، الماء الزجاجي...

أما الأسماء المعروفة: السكر، جمل، قطن، حبر، صفر، جغرافيا، كيمياء...[1]

وفيما يخص تأثير الأدب العربي على أدب الأوروبيين وشعرهم بقول المستشرق "غوستان لوبون" في كتابه " حضارة العرب" (حمل العرب في جملة ما حملوا روحهم الشعرية، فأولع بالشعر من أهل تلك الديار ولم يكن الشعر قد ارتقى في أمم الغرب وكانت بعض الشعوب في عهد قيام العرب لا تعرف شاعرا يرفع رأسها، اللهم إلا بعض الأغاني وما يشبه شعر العامة، منه بشعر الخاصة، فكان من اختلاط العرب بالإفرنج في الأندلس وصقلية، والجزائر الشرقية...ما لفن تلك الأمم اللاتينية معنى الشعر فنقلوا عن العرب ما أولعت به نفوسهم، ولاءم طباعهم كالملاحم والفروسية)[2]

فقد بين " لوبون" مما سبق ذكره التأثر الواسع للأوروبيين بالشعر العربي نتيجة اتصالهم بالحضارة الإسلامية وانبهارهم بنتاجاتها كما أشار في السطر الأخير ما دل على الاعتراف العقلاني أي ما يتلاءم مع خصائص الأوروبيين لا غير.

فقد استفاد الغرب من أدب العرب من الصور والأخيلة وعلم البيان والمعاني، وكل ماله صلة بفن البلاغة وبحوثها.

ومما يدل كذلك على التواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات السالفة لها، يقول" دوبير" المدرس في جامعة نيويورك في كتابه"المنازعة بين العلم والدين" (ولما آلت الخلافة إلى المأمون سنة 713م صارت بغداد العاصمة العلمية العظمى في الأرض، فجمع الخليفة كتبا لا تحصى وقرَب إليه العلماء وبالغ في الحفاوة بهم...فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية

[1] كرم البستاني ، المرجع السابق، ص 49.

[2] المرجع نفسه : ص 50.

كبيرة جدا...إن جامعة المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم)[1]

إذن نستشفُ مما قاله " دوبير" مدى انفتاح الحضارة الإسلامية على ما سبقها وفتحها الأبواب أمام غير المسلمين للانتفاع مما وصلت إليه هذه الحضارة، وحتى في العصر الحديث، ورغم تراجع الدور الحضاري للمسلمين لا يزال العديد من الأوروبيين منبهرين بما احتوى عليه الأدب العربي،ونجد كمثال عن ذلك المستغرب الإسباني "خوان خيرينتيا خينيس" Juan Vernet Genens[2]الذي تأثر بالأدب العربي إذ نجد من أهم إنجازاته "ترجمة القرآن الكريم" واطلاعه على معانيه والسيرة النبوية "لابن إسحاق" بالإضافة إلى ترجمته لرائعة ابن المقفع " كليلة ودمنة" كما قدم آراء في كتبه مثلا فصل إسبانيا عن الغرب للحضارة الإسلامية العربية كما أشار لفصل بعض الشخصيات الأدبية الإسلامية مثل "أحمد شوقي" وبخاصة بعد نفيه من قبل السلطات الإنجليزية المحتلة لمصر، وما أحدثه من تأثير في عملية تدعيم تواجد الأدب العربي والإسلامي في أوروبا وإسبانيا على وجه الخصوص .

تلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية،بل نظرته الكلية إلى الوجود الصادر عن إله واحد المتعاون في تصميمه وتقديره الأزلي، من وراء كل اختلاف وتنويع.

ومن ثم يتبين للباحث مدى العمق الإسلامي لمفهوم الحوار بشكل عام ولمفهوم حوار الحضارات بشكل خاص .

ب/الأدب الإسلامي أدب حياة:

يمثل الأدب الحياة ويصورها، ويعرض على القارئ والسامع صورا تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة، ويعرض عرضا جميلا ومؤثرا لشتى جوانبها وأشكالها، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة، فعندما يفوتنا النظر إلى الحياة مباشرة، ننظر إليها

[1] المرجع نفسه: ص 57.
[2] مؤرخ ومستعرب إسباني معاصر- نقلا عن حوار مباشر مع الشخصية في إطار برنامج تلفزيوني لقناة "أبو ظبي" نوافذ على الشرق".

ونشاهدها في مرآة الأدب، شريطة أن يجيد الأديب عمله وتصدق من صاحبه مقدرته وتحسن ملكته، وبذلك يصبح الأدب سببا لتخليد أحداث الحياة وصورها، فهي تلمس وتشاهد ولو بعد وقوعها بزمن بعيد إذا بقيت العبارة المصورة لها، وبقي التعبير الفني الجميل عنها وبقيت معانيها وكلماتها مفهومة مثلما كانت مفهومة في أوانها.

فالأدب يصل الإنسان إلى فهم ظواهر الحياة وتذوق كيفياتها، فينوب عن ذلك منابا كبيرا وواسعا إذا اختلفت أو غابت الظواهر الحقيقية والوقائع العملية.

ويتسع الأدب باتساع الحياة وتتعدد جوانبه ونواحيه كما تتعدد جوانب الحياة ونواحيها، ويستطيع به القارئ أو السامع أن يطل على حياة البعيدين في المكان أو السالفين في الزمان مهما قدم تاريخهم أو بعدت أوطانهم.

ومن أغزر اللغات أدبا وأطولها مدة هي اللغة العربية وآدابها، فإن امتدادها لا يقتصر من خمسة عشر قرنا بالتواصل والتوالي، لم تنقطع هذه اللغة ولا آدابها في هذا الامتداد فترة، ولم تنسحب عن المجال الأدبي غير أنه قد اعتراها في عهود مختلفة ضعف واستكانة لأسباب متغيرة وطارئة، وكان الإسلام أقوى وارد على اللغة العربية وعلى آدابها، ولقد تلقاه الأدب وحمله، بل وتزعم به، وأصبح لباسا مطابقا له واحتمل مسؤولية عرضه وتقديمه، فقد كان رسول هذا الدين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو الداعي الأعظم للإسلام من أكثر أهل هذه اللغة وآدابها قوة وإجادة، لم يكن قائلا للشعر ولكنه كان مجيدا لفهمه ومتذوقا لمحاسنه.

ج/الأدب الإسلامي أدب منفتح مجدد:

(إن صدور الأدب الإسلامي عن العقيدة، و التزامه تصورها الإيماني، لا يعنيان أنه أدب منغلق على ذاته، يسد نوافذه أبوابه في وجه الثقافات الأخرى. إنه أدب منفتح مجدد، و هو أدب محدِث، متطور، نام، متحرك، و إنه ليرى في التجديد ضرورة من ضرورات الحياة، و لونا من ألوان النظر و التأمل في الكون، لكشف الحجب عن الأسرار الدفينة و فك

القيود و السداد عن الطاقات العجيبة التي أودعها الله في العقل البشري، و هو يعني تدفق ماء الحياة في العروق، و استمرارها في الجريان الصاخب البناء.

إن الأدب الإسلامي لا يعادي التجديد و لا يرفضه، بل هو شديد الحماسة له، و لا يتحرج من استخدام تقاناته المختلفة، ولا يضيق صدره بالانفتاح على مذاهب الفن جميعها، و الاستفادة منها،و لكن ما يميزه من غيره، أنه يتعامل معها على بصيرة و رشاد، و أنه يملك معياره العقدي الذي يضبط خطواته، فلا يزلّ و لا يطغى، ولا ينساق وراء الجديد انسياقا أعمى، بل يمضي وراء النافع منها، الذي يشكل إثراء لآفاقه، و تشقيقا في ضروبه و أشكاله.

إن الأدب الإسلامي لا يقبل الأشكال الجديدة لمجرد أنها جديدة، و هولا يجري خلفها – على منهج الآداب المتحللة من الرؤيا الإسلامية – لأنها نزعة طريفة تبتت هنا أو هناك، أو (تقليعة) غريبة حملتها هذه الفلسفة أو تلك، بل يحرص عليها ما كان فيها خير و حكمة ؛ لأن المسلم معني بالحكمة بحاثة عنها، أينما وجدها التقطها و كان أحق بها من غيره، كما أنه معني بالتحسين و التجميل، فهما من خصائص التصور الإسلامي)[1].

وبالتالي يمكننا القول أن الأدب الإسلامي لديه قدرة فائقة على التحاور مع الآداب الأخرى والتفاعل معها وفق منهج قائم على الانفتاح والتواصل مع الثقافات الأخرى.

[1] وليد إبراهيم قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي ص 35، دار الوعي للنشر و التوزيع – رويبة – الجزائر ط2 _2012

الفصل الثالث

في سياق العالمية

- المبحث الأول: عولمة صراع الحضارات
- المبحث الثاني: الأدب الإسلامي والعولمة
- المبحث الثالث: الإسلام وحوار الحضارات
- المبحث الرابع: حوار الحضارات في كتابات نجيب الكيلاني.

المبحث الأول: عولمة صراع الحضارات:

في ضوء ما تقدم وقبل أن تنجز العولمة بعض مهامها ابتداء من تسعينات القرن العشرين، نجد الكثيرين من الفلاسفة الغربيين يتوقعون خيبة أمل الحضارة الغربية، فيما تقوم به بعض الفئات لا سيما الأغنياء الأقوياء من ضرب منجزات العقل الإنساني، في معركته من أجل إيجاد مجتمع الرخاء والتقدم، وقد نرى ما يحصل تجاذبا عكسيا بين الإنسان الطبيعي وتناقضات الحضارة...ذلك أن الإنسانية تنتقل نتيجة طاقتها إلى التطور من مرحلة إلى أخرى أرفع كمالا، لكنها أكثر بلاءا فتتحول من الطبيعة إلى التمدن ومن المساواة إلى التفاوت ومن الخير إلى الشر...وأن ظهور الدولة هو من اختراع الدهاة...فالميثاق الذي تم بين الأغنياء والفقراء هو مشروع يمنح الأغنياء قوة جديدة ويدعم التفاوت بين الناس، ويدفع البشرية إلى العبودية والبؤس وربما كان كانط Kant(1724-1814) أكثر عقلانية عندما حاول أن يؤسس آماله على إيجاد بنية أخلاقية قادرة على تغيير الإنسان... مرتكزا على العقل الذي يحتوي على الهدف الأعلى للتطور الإنساني، هذا الهدف هو الوجود الأخلاقي للفرد، وهو ما بحثت عنه الحضارة العربية قبل أن تبحث عنه الحضارة الغربية وهو ما يتبعه بدوي الجبل في شعره...فوجد أن الحضارة الحقيقية لا يمكن أن تؤول إلى صراع بين أطرافها كما لا يمكن أن تؤول إلى طرق مسدودة إذا ما استنفذت مهمتها على أحسن وجه...لذلك كان يؤمن بضرورة الحب والتعايش بدل الحروب فيقول:

وَآمَنْتُ أَنَ الحُبَ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ وَلاَ خَيْرَ عِنْدِي فِي الوَغَى

وتصبح مقولة الصراع الحضاري إلى خارج الحضارة نفسها...إذا لا صراع بين الحضارات بل تقاطع وتواصل

والثاني : النقدي الذي ينزع إلى التغيير ومواجهة السلبي في هذه الذات...هذا من جهة ومن جهة ثانية جعل من هذه الذات مجتمعة في مواجهة مع ما يحيط بها من

ظواهر واتجاهات معادية...وفي الجهتين كان يرى الشاعر أنه ينبغي إعادة بناء هذه الذات بما يكفل لها البناء الجديد وتكون أمة قادرة على المواجهة.

لقد تكشفت للشاعر ظواهر غير بريئة في تعاطي الغرب مع العرب...وهذا ما لاحظه معظم المفكرين والكتاب والشعراء منذ فجر النهضة إلى يومنا هذا، تناولوه من وجهات خاصة يجمعها نطاق واحد وهو الاعتداء الغربي على بلاد العرب وضرورة مواجهته بشتى الأساليب والطرق بعد أن تم تعديل كثير من المقولات الآلية إلى التفاعل مع الغرب وسادت نظريات النقد للتمييز بين الجيد والرديء... وهكذا كانت دولة العثمانيين تمارس هذا الاعتداء وهي مجلببة بجلابيب يقع واحدهما على الآخر: الإسلام والسيطرة اللامجدية...وهكذا كانت حملة نابليون على الشرق وبخاصة مصر وسوريا وفلسطين، تحمل العدتين: العسكرية والحضارية...وهكذا كان تألب الدول الغربية على منع محمد علي باش امن إتمام المشروع التوحيدي والنهضة العربيين...وهكذا اتسعت دائرة التدخل في القرن التاسع عشر وازدادت الادعاءات الغربية، وقد كشفت عن نوايا الغرب الاستعماري بعد أن اكتشفت أهمية الشرق...وهكذا أخرجت الحرب الأولى تركيا من بلاد العرب وتوج الغرب تدخله في الوطن العربي عبر معاهدات قسمته إلى أقطار وحكمت فيه بالحديد والنار...وبدل ذلك ما فعله الانكليز في العراق حيث قامت الثورات ضدهم منذ نهاية الحرب الأولى، ودفع العراقيون ثمن انتفاضتهم دماء غزيرة...وهكذا دفعت أيضا سوريا الثمن الباهظ في معاركها ضد الفرنسيين، من الدماء والقتل،والتشريد، والتدمير للمدن، والقرى، والتقسيم، فكانت مجابهة المليون الدامية وكانت الثورات المتعاقبة وأبرزها في العام 1925...وتوالت على الكفاح ضد الفرنسيين شخصيات مرموقة أمثال هنانو، والجابري،والعظمة، والسلسلة لا تنتهي.

فتصبح مقولة الصراع الحضاري دعوة من إفرازات الأنظمة الاستعمارية توهم شعبها والشعوب الأخرى بجدواها.

في حين تمتد مقولة الصراع الحضاري عبر الزمن فتعود إلى التاريخ القديم، يوم حاولت بعض الأمم القديمة أن تقيم إمبراطوريات أو عولمات لها...وفي القرنين الأخيرين اشتد تأثير هذه المقولة ودفع بالحروب إلى أن تأخذ طوابع مختلفة منها الادعاء بالتحضُر والتثقيف والتبشير...وما كان ذلك إلا وجها من وجوه السيطرة والإلغاء لشعوب وخرائط تكونت على أديم الأرض منذ ملاين السنين...

وإذا كان تعدد الاستعمار في تلك الحقبة قد عدد طرق التعاطي الحضاري والثقافي الدعائيين، فإنه في الآونة الأخيرة تقلص واختزل إلى قطب واحد تساعده بعض الأطراف...

ويبدو أن تجربة الغرب مع العرب اتخذت طابعا حادا عنيفا اعتمد على القهر والاستعباد، والقتل، والتدمير، والتشريد، ومصادرة الأراضي، وإحلال شعوب محل أخرى كفلسطين وتشويه الشعوب وما لديها من حضارة وتراث، وأديان، ومعتقدات، وتقاليد، وخصوصيات...ولقد تناول الجبل هذه الناحية في مجمل شعره، وكان داعية قومية تبرز مساوئ الغربي مع العرب وتظهر الوقائع الدامية التي روع بعض الغرب بها العرب طالت معظم أراضيهم ولم تنته إلى يومنا هذا...

وهو الأمر الذي لم يستطع رواد النهضة العربية الحديثة تجاوزه فيما تناولوا من إصلاح للأمور وما عكسوه في إبداعهم سواء أكان على شكل قصة أم رواية أم شعر.

لذلك نجد الجبل واحدا من هؤلاء الذين تأثروا بمجريات هذا الواقع وأثروا فيه...

وكان ذلك منه محاولة للعثور على الذات العربية...وحينما التقط جزءا كبيرا منها دخل في صراع معها وخلق نقيضين داخلهما: الأول: يعول على ما هو موروث وموجود حيث اشتركت الفئات الشعبية السورية بمختلف انتماءاتها في معركة التحرر وكان الجبل واحدا من هؤلاء المكافحين فطورد ونفي واعتقل وسجن وعذب...وهكذا بل أكثر. فعل الإيطاليون في ليبيا في محاولتهم ضمها إلى ايطاليا وجعلها نشاطا

رابعا لها...وهكذا تآمر الغرب، وعلى رأسهم بريطانيا الإقامة كيان صهيوني في فلسطين وقل ذلك في بقية الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج، خصوصا في القسم العربي من إفريقيا الشمالية...هذه هي الذات العربية في مواجهتها للتآمر على الذات عاش الشاعر الجبل في داخلها ولم يكن شاهدا من بعيد، بل مشاركا فيها بالكلمة والفعل...

ربما كان الحديث عن الحضارة عموما أمرا شائكا فكيف به إذا كان عنها في الأدب، وبالتحديد في شعر بدوي الجبل؟ ذلك أن هذا الشاعر الجبل: غني الجوانب من معان في تضمين شعره وقائع مر بها قومه على مدى حقبة طويلة من الزمن، طرح فيها القضايا من وجهة تحليلية تقوم على موضوع رئيس هو العرب في مقابل الغرب.

ولقد كان تناوله من الوجهة الحضارية يلقى المزيد من الأسئلة حول مسائل لا يزال قسم كبير منها معلقا يخضع للمناقشة فلا يكاد ينتهي العرب من استعمار حتى يواجههم آخر، وبطرق مختلفة والأبرز في ذلك موضوع الحضارة الذي بدا مؤخرا قضية أساسية ليس لدى العرب وحسب، بل لدى شعوب العالم بأسره، في ظل مرحلة بعد أخرى...وما تناولنا في هذا القسم يعد جانبا أساسيا شكل إرهاصا للعولمة...وما أثبتناه يوحي بكثافة وجود القضية التي بسطها الجبل في مختلف قصائده...فلقد تحدث عن الحضارة عموما وأجرى نقاشا مديدا حول بعض اشتقاقات الكلام عنها كالحوار والصراع والتلاقي... وقد تبين أن الشاعر يعول كثيرا على الحوار والتلاقي...حتى أنه لا يجد متسعا للحوار بل يؤكد على التلاقي لأن الحضارات في نظره تتلاقى على الخير الصالح العام... وهي لا تتواجد تواجد صراع وإذا حصل ذلك فإنها تخرج عن كونها حضارة لحمل معنى الاعتداء على الآخرين وتدمير حضاراتهم بغية التفرد والسيطرة.

ولقد كان الجبل يؤمن بالحضارة الحقيقية المتمثلة في الإسلام ويحملها سلاحا في مواجهة الأفكار المنادية بالصراع والتهميش والإلغاء والاعتداء... لذلك كان على الباحث أن يوضح المفاهيم وفق نظرة الشاعر، معتمدا على شعره الذي تضمن المزيد

من المواقف والإضافات والمناقشات حول المسألة الحضارية التي شكلت الجوهر لديه... وكان من الضروري الحديث عن هذه الحضارة التي تراوحت بين المفهوم الإيجابي (التعاون) والسلبي (المشوه لمفهوم الحضارة) إن الجبل يعتقد أن الحضارة الحقيقية ولدت عند العرب وفي رحم الصحراء...وتجدرت في كنف البداوة بهدوء...وبنت نفسها رويدًا رويدًا...ورفدها رافدهم هو الإسلام، وأسهمت فيها شعوب مختلفة حتى باتت من الأهمية بما كان، حيث أعطت العالم أنموذجا حيا يعكس إمكانية التفاعل الإنساني الذي من الممكن أن يحصن بجملة من الأخلاقيات أفقدتها ما وضع لها في الأساس...فأصبحت تجد ذاتها إشكالية تعاني هي منها كما تعاني منها الشعوب الأخرى.

وهو ما أدى إلى طرح مسألة الحوار بين الحضارات، إذ تبين له حوار مفتعل، الغاية منه وضع العلاقات الإنسانية في أزمة تفضي حكما إلى صراع... وهو مسوغ يرقى إليه الشك فيما شهده العالم من أحداث دامية عنوانها السيطرة البعيدة كل البعد عن الحضارة الحقيقية...ويبقى التلاقي هو المقولة الأفضل والأبقى، وأحسنه ما كان طوعيا تلقائيا لا يعول على وسائط كاذبة لأنه ليس بحاجة إليها، فالصحيح هو دائما صحيح بينما المزيف لا يمكن أن يكون مقبولا.

المبحث الثاني: الأدب والعولمة:

هنالك سلسلة طويلة في زمننا الراهن، من الشخصيات و الهيئات والمنظمات والأديان و المؤسسات.....تقول بضرورة الحوار بين الحضارات وهي دعوة قديمة –جديدة، ينبغي أن تأتي أكلها في عصر العولمة ....هذه الدعوة لم تنقطع في يوم من الأيام عن لسان الخيرين في الإنسانية.....

و إذا كانت العولمة تحاول أن تحدث الانزياح المعرفي في كل شيء، وتغير مفاهيم الأشياء وتطلق أفكارها الجديدة حول الحياة و تناولها، إلا أنها لم تنجح إلى الآن في القضاء على الفوضى التي سادت الفكر الإنساني في العقد الأخير من القرن العشرين، و هي مستمرة إلى الآن .....

فوضى تسببت في تشوش التفكير في المعارف الإنسانية، وسبل تطويرها إلا ما كان من أمر المعلوماتية،والتكنولوجيا، والعلوم الأخرى الحديثة الآيلة إلى تشديد العولمة على الكون و تحويله إلى حرية كونية...

تطورت تكنولوجيا المعلومات شكليا، ولكن هل يعني ذلك أيضا تطور المعارف عموما و العلوم الإنسانية خصوصا في الجوهر؟!

من البديهي القول بتطور أنواع المعرفة كلها ...لكن وجهة التطور ليست هي نفسها في الميادين كلها....فكما أن المعارف الآلية قد وضعت لخدمة قوى العولمة كذلك ما حصل في العلوم الإنسانية، على الأقل في الاتجاه الذي يروج للعولمة وينظر لها.. وعلى ذاك فهناك إنتاج لعلوم إنسانية ملائمة وعلوم إنسانية غير ملائمة...هناك نوعان أو عدة أنواع من البشر تقاسمت النتاج المعرفي في الحقبة الأخيرة....ولقد عجز الاتجاه العولمي في العلوم الإنسانية عن إبقاء بمتطلبات الشعوب على وجه الأرض و راح يصنع معارف متطابقة مع توجه جهابذة العولمة...و هذه المعارف لاسيما الإنسانية منها، تنضوي تحت لواء التيار الأحادي الجانب...

و الأدب فرع رئيس من فروع المعرفة، وبالتالي العلوم الإنسانية وما يسمو الأدب اليوم في قسمه العلمي نزعات حادة إلى تسوغ سيطرة إنسان على آخر أولا، كما تنزع إلى أدب شبيه بأدب العمالقة في المراحل الطفولية من تطور الإنسان، أشباح، مارد، عملات، قوى لا تقهر، تدمر ولا تدمر، تقتل ولا تقتل....وهو ما أسموه استعمال تيار الخيال العلمي في القصص.....

والأنموذج الأبرز في هذا الأدب هو الذي يمثل إرادة الفرد أو مجموعة من الأفراد متشابهين في نزعاتهم الاستعلائية و التفوقية ....أدب لا يدخل إلى قعر النفس ليخرج البراءة منها و يصيب الإنسان الآخر في قعر نفسه و يحدث عنده الموقف الإنساني الآيل إلى خير البشر... أدب هزيل يتموضع في إطار مصطنع، قبلي التطلعات، ومرسوم له أن يحطمن قدر الإنسان لا أن يرفعه .

وليس أدل على هذا الأدب في الإعلام التي غزت كل دار على وجه الأرض...يتمثل في شرائط الخيالة والمسلسلات الفارغة من المحتوى الإنساني ...حيث يقضي يستمر الإنسان وقته أمام الشاشات (الإذاعة المرئية ، الفضائيات، الحواسب، الانترنت....) يتلقى ما يتلقاه من برامج مهيأة ومفروضة عليه، في شبه استهلاك لذيذ ومستوى ينسيه واقعه ومشكلاته و يدفعه إلى أن يكون كونيا بحسب ما ترتئيه[1] العولمة، بعيدا عن القراءة، والمطالعة، وصنع الواقع ،والمصير و هو هَمٌ آخر يعاني منه الأدب على غير صعيد، لا يتسع مجال البحث فيه الآن.

بين تجارب الماضي و الحاضر مسافة زمنية واسعة، تحوي من التقدم العلمي و التكنولوجي الشيء الكثير...و إذا كان الإنسان في الماضي مجبرا على المطالعة ليوفر لنفسه المعارف، أصبح اليوم يتناول هذه المعارف بأيسر السبل، ولكن أي معارف و أي توجيه؟...

في زمن النهضة العربية و ما قبلها بقليل، وجد الإنسان العربي نفسه أمام تحدٍ حضاري كبير... و كان عليه أن يختار....؟أن ينهض أولا و يعمق النظر فيما حوله

[1] حسين الطوبجي، وسائل الاتصال و التكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، 1978،ص61

ثانيا، أن يتدبر أمره ثالثا...لم يكن التعقيد التكنولوجي الهائل اليوم في زماننا قد برز بهذه الحدة... ولم تكن ثمة أطروحات متشابهة لما نحن عليه ...كان هناك استعمار وسعي للنهضة ...وكانت عملية التفاعل بين الغرب والشرق على قدم وساق ..استطاع العرب إبانها الفوز بالكثير من النتائج على غير صعيد ...كان تيار النهضة دافقا ...وزحمة المعلومات تطغى على أمور كثيرة، أحيانا تحت ظل الحرب العسكرية و أحيانا أخرى من دونها.

و قد أدى الأدب إبانها دور الريادة ومثل الحياة العربية خير تمثيل، لم يكن هناك طرف استعماري واحد بل عدة أطراف ...لذلك تنوعت الثقافة وعم النهل عن الغرب[1] في وقت كان قد تم فيه إنجاز الأخذ الأوروبي عن العرب، وأعاد إليهم بضاعتهم و على سمائها شيء من المساحيق، وفي جوهرها جملة من التطورات في الميادين المختلفة، وليس غريبا بعد ذلك أن يؤكد أحد رواد الطرق التجريبية بأوربا منذ القرن الثالث عشر وهو "روجيه بيكون" من أن السبيل الوحيد إلى المعرفة الحقيقة، بالنسبة إلى معاصريه، تكمن في دراسة اللغة العربية[2]

كان الأدب متسع الآفاق،والمدارك متعدد الاتجاهات، تلقح الأدب العربي بجملة من اللقاحات الغربية التي لم تكن وحيدة الجانب ...لقد تواجد الفرنسي إلى جانب الانجليزي، والألماني، والروسي، والصيني، والياباني ...إلى جانب العربي الذي بقي متمسكا بمزاعمه و تقاليده الأدبية... لكنه أقتنع بضرورة الاستفادة من آخر ما توصلت إليه الإنسانية في ميادين الأدب: صوغا و مضمونا.

لقد نجحت العولمة في خلق تيار عولمي في الأدب ...تيار خاص يعبر عن فئة خاصة ويمثل تطلعاتها في الإلغاء، والسيطرة، والهيمنة، والتفرد، والوحدانية.... لكنّها لم تستطع أن تخلق أدبا عالميا أو إنسانيا...حاولت أن تغير ما يسمى بالعالمية

[1] توفيق الحكيم ، زهرة العمر، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1955، ص169
[2] الشاذلي القلبي ، العلاقات بين الحضارتين العربية و الأوروبية، مجلة الآداب في العددين 4 و5، بيروت ، 1983، ص30

غير العولمة ...الأولى لكل البشر والثانية لفئة معينة ... الأولى تندرج في سياق الرقي الإنساني و الثانية في سياق تدمير الآداب، و الفنون، والثقافات عموما...

الحوار الحقيقي للحضارات انعكس بوضوح في الآداب الإنسانية وإن ما عرف بالأدب المقارن هو جزء من هذا الحوار، وهو لا يزال باقيا إلى يومنا هذا دلالة على رقي هذا التعامل بين الشعوب والأخذ والعطاء فيما بينها .

وعند ما نتحدث عن المثاقفة التي تمت بين العرب والغرب، نقترب أكثر من مقولة حوار الحضارات، التي تمثلت خير تمثيل في الأدب، والمجال لا يتسع لتفصيل هذه المرحلة دليلا على هذا الحوار الذي عرف مواطن النجاح كما عرف مواضع الإخفاق في كثير من مؤلفاته .

والمثاقفة تعني التثاقف، أي أن تحتك ثقافات الشعوب وتتعايش فيما بينها من دون احتواء الواحدة للأخرى، ويقسم الدكتور "عز الدين المناصرة" المثاقفة إلى قسمين : الطبيعية والقهرية، ومن الأفضل أن يسمي هذين القسمين بالمثاقفة اليقينية والمثاقفة اللاتينية.أقبل المثقفون العرب في الأولى على النهل من الغرب وفي ضنهم إنما يأخذون بأسباب الحضارة والرقي والتقدم من آخر ما توصلت إليه الإبداعات الإنسانية، وأنه كان لزاما عليهم أن يفعلوا ذلك، كي يقلبوا مجتمعهم العربي إلى حالة أفضل على جميع المستويات... كانت النوايا حسنة والمهمة ميسرة بفضل عوامل متعددة سادت في زمن الانبعاث و زمن النهضة.. وكانت ضرورية للنهوض...أما في الثانية، حيث بدت نوايا الغرب الاستعمارية في العالم العربي وانكشف عن حقيقته ما هو استعماري يمتهن التدمير والحروب والقتل....وما حضارته سوى وجه آخر يستعمله ليتمكن من الإستلاء و السيطرة على كل شيء... وهو ما أدى إلى دفع الرواد في الثقافة العربية إلى إعادة النظر في مجمل مواقفهم من الغرب وحضارته، فدخل وعيهم في مرحلة جديدة من النقد و التبصر فيما يتلقونه... والتفتوا إلى تاريخهم و تراثهم واقعهم....وتبين لهؤلاء أن الغرب ذو وجهين متناقضين، وأن مؤتمراته التي يجلبها أغلبها بهرج و قشور.

أما تبشيره بثقافته وقيمته فهي لزعزعة تراث المنطقة العربية، وهدم كيانها الحضاري الموحد، أكثر منه نشرا مخلصا لفكر الإنساني الحديث المتحرر،وعلى الرغم من هذين النوعين من المثاقفة لم ينقطع قسم كبير من العرب عن الدعوة إلى الأخذ من الحضارة الغربية مستندة إلى أصلها الصحيح، أي إلى حرية البحث ونزاهة العلم... وهو ما أعلنه الشيخ الإمام محمد عبده في قوله الشهير: "إن الحضارة الصحيحة تتوافق مع الإسلام "وهو بعكس ما ذهب إليه تلامذته الذين مالوا بطرق المعادلة قائلين: "إن الإسلام يتوافق مع ما تأتي به الحضارة"

إلا أن كثيرين يحكمون على المثاقفة القديمة- الجديدة وما تنتجه بالتوليد الخائب للتشابه بين أفعال الاستعمار في مرحلة النهضة والمرحلة الراهنة "فهنتغتون " نفسه يحكم على الشعوب التي هيمنت عليها أوروبا بأنها لم تستطع إستعاب الحضارة...وفي الحقيقة، أن الحضارة الآنية تنطلق من المنطلقات القديمة نفسها، من عقلية السيطرة والإلغاء و التفوق...وإذا كان علي مبارك في روايته "علم الدين" قد أعلن عن السيطرة الأوروبية بأنها "هي الاستحواذ على كافة بقاع الأرض حتى صارت بقعة أوروبا أغنى البقاع وأكثرها ثروة، وصارت ملوكهم أعظم من غيرهم شهوة وسطوة"....فأن "هنتنغتون" يرى بأنه ينبغي أن نتحضر ولذلك وجب السيطرة عليها...

فما أشبه الأمس باليوم... بالأمس كان الصدام الحضاري مبكرا جدا، و لم يترك أي مجال من أجل التعايش السلمي بفضل الحكم المسبق على عبثية مثل هذا الحوار بين الشعوب و حضارتها... وإن كان "هنتنغتون" قد حكم على المهمة الحضارية الغربية بالفشل قديما و زجها في أتون التوليد الخائب للمثاقفة فأن نظريته نفسها هي ما ينبغي الحكم عليها بالإخفاق والتوليد الخائب.

ذلك أن المثقفين العرب، على الرغم من الوعي بالغرب وأحابيله- قد استفادوا من مثاقفاتهم- على غير الصعيد، واستطاعوا فيما بعد التمييز بين الذي لهم والذي عليهم،

و ما يجب أن يأخذوه و ما ينبغي إهماله...لكن السيف الغربي المسلط فوق رؤوس حرم العرب من قطف ثمار نهضتهم في مجالات عديدة.

لكن الأدب من بين فروع المعرفة كلها ظل في مسيرته الطويلة يؤدي دور الرائد في غير مجال، واستطاع الأدباء والشعراء والكتاب العرب أن يسجلوا التاريخ الأدبي الحديث بأحسن تعبير وأدق رسم للصور...

وإذا كانت الفنون الأدبية الحديثة قد أخذت حلتها الجديدة إبتداءا من عصر النهضة العربية، فإنها كانت ثمرة من ثمرات التفاعل الحضاري عبر الزمن...فانتقلت إلى الغرب فيما انتقل إليه من عيون التراث العربي، ثم لتعود من جديد إلى بلاد العرب وقد اكتسبت سماتها الملائمة للعصر عبر تطور قوالبها وأشكالها ومضامينها وفق التطور الذي عرفته الإنسانية.... ومن هذه الفنون: الفن القصصي بأشكاله المتعددة لاسيما الرواية التي كانت وعاء للمثاقفة والحوار الحضاري المبكر في الزمن الحديث...[1]

لقد حمل العرب قيم الإسلام العليا ومثله السامية وأخذوا في نشرها وتعميمها في كل أرجاء الدنيا، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات الفارسية والهندية والمصرية والحضارة الأوروبية الغربية فيما بعد، ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية جديدة أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب و الأمم التي دخلت في الإسلام، فاعتنقت الحضارة الإسلامية كل ذلك عن طريق التلاقح و التفاعل، وكانت هي بذورها فيما بعد عندما استيقظت أوروبا من سباتها و أخذت تستعد للنهوض مكونا حضاريا ذا بال أمد الحضارة الأوروبية الغربية بما تزخر به من علوم و قيم و عطاء حضاري متنوع .

الشيء عينه يمكن قوله عن الحضارة الغربية التي لم تظهر فجأة، بل تكونت خلال قرون كثيرة حتى بلغت أوجها في عصرنا الحاضر وذلك نتيجة التفاعل الحضاري مع الحضارات الأخرى هيلينية ورومانية وغيرها، وبفعل التراكم التاريخي

[1] سالم المعوش، الأدب و حوار الحضارات (المنهج و المصطلح و النماذج ص137.

والعمليات المتفاعلة من التأثر والتأثير خلال التاريخ الإنساني الحديث. إن أكبر دليل على أن الحضارة الإسلامية لم تسع في أي وقت من الأوقات إلى التصادم مع الحضارة الغربية كما ينذر بذلك أصحاب نظرية الصدام الحضاري هو أن العرب والمسلمين لم يضعوا في أي زمن من الأزمان صوب أهدافهم القضاء على خصوصيات الحضارة الغربية وهويتها الحضارية، كما نجد الفكر العربي الإسلامي قد اتجه بانفتاح يقود صوب التراث الغربي للاستفادة منه وتطويره، لقد كان هنالك فعلا استجابة سريعة للحضارة العربية الإسلامية في تفاعلها مع الحضارة الغربية، وهذا ما نلمسه في الحضارة الغربية التي لا تسعى للاستفادة من تراث و معطيات الحضارة الأخرى.

وإيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعا: قال تعالى{**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَ مَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِير**}[1].

بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا يقطع لسبيل إلى تحقيق هذه الغاية كما أن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعامل فيما بينها.

[1] سورة البقرة.

هذا و القول بأفضلية حضارة على أخرى هو القول المتهالك، فمن يستطيع إثبات أن هذه الحضارة أفضل من تلك أو عزز ثقافة أو حكمة إنسانية؟! ولا يوجد في الواقع أي مقياس أو معيار تقاس به هذه الأفضلية في كل الجوانب.إن شرط ازدهار هذه القيم في أي حضارة يرتبط أساسا بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الأخرى ومكوناتها و بالتالي الاعتراف بها ومحاورتها وقبول تعددية الثقافات و تفهم المفاهيم و تقاليد الآخرين، واعتبار الحضارة الإنسانية نتاجا لتلاقح وتفاعل هذه الحضارات لا صراعها فيما بينها أو استعلاء بعضها على البعض الآخر. والحضارة الإسلامية منذ نشوءها و تكونها لم تخرج عن هذا الإطار التواق إلى التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذا و عطاء، تأثرا وتأثيرا.

وهكذا يعتقد الباحث أن الإسلام يساعد على نهوض الحضارات الأخرى، بحيث يتحول العالم إلى منتدى حضاري يحقق التعددية الحضارية، لا المركزية التسلطية، وهذا شمل كل المجالات بما فيها الأدب الإسلامي الذي تأثر بالعولمة فظهرت فيه العديد من المصطلحات الجديدة التي أثرت النقد الأدبي وتاريخ الأدب العالمية، والمدارس الفنية المختلفة بمصطلحات اضطربت واختلطت وفقد أغلبها معناه، وهذه المصطلحات ولدت في ظروف خاصة، أو ارتبطت بمناسبات وإيديولوجيات ولغات معينة، بدأ ذلك مع الإغريق بتصوراتهم الدينية والأسطورية والفلسفية، وظل توليد المصطلحات ساريا عبر العصور المختلفة، ولما جاءت النهضة العلمية الأوروبية، وبرزت إلى الساحة علوم جديدة كالفيزياء، والجيولوجيا، والرياضيات، وعلم النفس، والاجتماع،والمدارس التاريخية المستحدثة، استطاعت هذه كلها أن تمد الأدب بتصورات وتفسيرات ومصطلحات جديدة، فسماها التأريخ النفسي أو البيولوجي أو الاجتماعي للأدب، وفي إطار المذهب الواحد كما قلنا حدثت تفرعات واختلافات وتناقضات حتى أصبح الأمر مثيرا للدهشة والحيرة، فتعالوا معنا لنرى مذهبا مثل الرومانسية ....ماذا يقول العلماء الموسعون عنه: الرومانتيكي مصطلح له تاريخ بالغ التعقيد كما أن له – دون مبالغة – ما لا يحصى من الدلالات والمعاني، لقد لاحظ

الباحث الأمريكي (لافسجولي) ذات مرة أن لكلمة رومانتيكي من المعاني ما تجعلها لا تكاد تعني شيئا بالتحديد، وفي كتاب (تدهور وسقوط المثال الرومانتيكي) للو كانس (1948) إحصاء لنحو: 11396 تعريفا لهذا المصطلح.

"إن الحرص على عالمية الأدب لمن ينشدون هذه العالمية و يسعون إليها يتحقق بالأدب الإسلامي، و ذلك لأمرين:

أ- إن عالمية أي أدب لا تتحقق إلا من خلال محليته، و الأدب الإسلامي – كما ذكرنا – هو دعوة إلى الخصوصية و التميز، و تحقيق الفرادة و الأصالة، لأن العالمية لا تتحقق بالتقليد، و لا بارتداء أثواب الآخرين، و لا يمكن أن يكون أدبنا عالميا إذا كان يستورد أفكار غيره و مشكلاتهم و أذواقهم، إن أدبا من هذا القبيل أقل ما سيقول فيه الآخرون: «هذه بضاعتنا ردت إلينا».

و لكن الأدب – كل أدب – يحقق عالميته عندما ينطلق من أصالته و خصوصيته أولا، ثم يعبر – في إطار هذا التفرد – عن مشكلات إنسانية تهم بني البشر في كل مكان.

ب- و إن الأدب الإسلامي مهيأ كذلك لتحقيق هذه العالمية بسبب عموميته النابعة من عمومية العقيدة التي ينطلق منها، و إنسانية خطابه الذي يتوجه به إلى الناس كفة في كل زمان و مكان".[1]

[1] وليد إبراهيم قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي ص 24،دار الوعي للنشر و التوزيع – رويبة – الجزائر ط2 2012م

المبحث الثالث: الإسلام و حوار الحضارات:

يشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف ويكرس التعددية و يؤمن بالمساواة وعليه فالحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة الموقع الثقافي أو السياسي وإنما لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجددا، على أن الباحثين يربطون أحيانا الحوار بالحضارات ويلحقونه من حين لآخر بالثقافات أسوة بالتصنيف الكلاسيكي، الذي يجعل من الحضارة تجسيدا أو بلورة للثقافة... فالثقافة عبارة عن عاداه وتقاليد ومعتقدات المجموعات البشرية التي تمتاز بها بصفة مستقرة، كما أنها بمعنى آخر مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي بما تحمله من عادات ومعتقدات وآداب وأعياد[1]

أما الحضارة فكثيرا ما تعرف بكونها التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف وهي بالتالي تنزع إلى العمومية خلافا للثقافة التي تنزع إلى الخصوصية، كما أننا نعنى بها أي الحضارة:"ذلك الطور الأرقى في سلّم تقدم الإنسان"[2]

وتعرف أيضا أي الحضارة بأنها مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة، أو بعبارة مختصرة: "جميع مظاهر النشاط البشري الصادر عن التدبير العقلي"[3]

بيد أن أشمل تعريفات الحضارة ذلك التعريف القائل: "إن الحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدينة والثقافة، فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية، و هو تعريف يشير إلى جناحي الحضارة، و هما الروح و المادة، حتى تلائم نظرة

---

[1] WWW.MAPECI .COM/AR/409/KADAIJA.HIM

[2] محمد عمارة، التراث و المستقبل، القاهرة . دار الرشاد . ط2، 1418ه، 1997م ص215.

[3] أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ، دار الفكر العربي، 1900، ص11.

الإنسان، وتتجاوب مع مشاعره وعواطفه و حاجاته، كما أنه أيضا يشير إلى عناصرها التي يمكن حصرها في :

- تصور الحياة وغاياتها.
- المقومات الأساسية التي تقوم عليها.
- المنهج الذي يستوعبها.
- النظام الاجتماعي الخاص بها.

وبعد بيان معنى الحوار ومفهوم مصطلح الحضارة نرى أن الحوار بين الحضارات يعني :

- تلاقح الثقافات الإنسانية بين هذه الحضارات .
- التفاعل السياسي المتبادل بين هذه الحضارات.
- الامتزاج الاجتماعي المنضبط بين هذه الحضارات.
- التبادل التقني و التكنولوجي بين هذه الحضارات .

ومن هنا يتبين لنا أن نظرية "هنتنغتون" انطلقت من نظرية خاطئة للإسلام والحضارة الإسلامية والمعطيات القرآنية الضخمة، لأن الإسلام ليس في صراع إلا مع العناصر العدوانية التي تهدد وجود الإسلام ومعتنقيه، تاركا للجميع حرية اختيار العقيدة، والفكر، والمذهب، وطريقة الحياة، أكد ذلك الخالق تبارك وتعالى :﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾[1].

[1] سورة الغاشية

- **الحوار في الإسلام:**

يقول القرضاوي: "إننا نحن المسلمين نؤمن بالحوار، وبأننا مأمورون به شرعا، وقرآننا مليء بالحوارات بين رسل الله و قومهم، بل بين الله تعالى و بعض عباده، حتى إنه سبحانه و تعالى حاور شر خلقه :إبليس .و لهذا نحن نرحب بثقافة الحوار بدل ثقافة الصراع سواء بين الحضارات أم بين الديانات. و لا نوافق على المنطق بعض المثقفين الأمريكيين مثل "هنتنغتون" الذين يؤمنون بحتمية الصراع بين الحضارات، وخصوصا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فلماذا لا تتفاعل الحضارتان و تتكاملان، ويقتبس كل منهما من الآخر ما تفوق فيه ؟ وماذا نريد نحن من الغرب ؟ .

إننا نريد من الغرب أن يتحرر من عقدة الخوف من الإسلام، واعتباره الخطر القادم، وترشيحه ليكون العدو بعد سقوط الإتحاد السوفيتي .

كما نريد من الغرب أن يتحرر من عقدة الحقد القديمة الموروثة من الحروب التي سماها الغرب صليبية و سماها مؤرخونا حروب الفرنجة .

فنحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس ولسنا الذين بدأنا هذه الحروب، بل نحن الذين شنت عليهم. ونريد منه كذلك أن يتحرر من نظرة الاستعلاء، التي ينظر بها إلى العالم نظرة السيد إلى عبده، فهذه النظرة من شأنها أن تثير الآخرين و تستفزهم"[1]

نريد منهم أن يستمعوا لكلام العقلاء منهم عن الإسلام 'أمثال"سير و أرلون" لا سيما في كتابه *الدعوة إلى الإسلام* الذي تحدث فيه عن خصائص الحوار الحضاري في الإسلام.

وهكذا فإن الإسلام مع دعوته للحوار وأمره به - إذ هو سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام – ينادي الغرب وأمثالهم أن ينظروا بعين الحيادية والتجرد من

[1] يوسف القرضاوي، الحوار بين الإسلام و النصرانية، موقع إسلام اون لاين، مركز الإسلام و قضايا العصر،بتاريخ 2005/08/13.

الهوى إلى تعاليم الإسلام ونصوصه الصريحة في الأمر والدعوة إلى الحوار والتفاعل الثقافي بين الشعوب و الحضارات.

- **الإسلام و دوره في تعزيز الحوار بين الحضارات:**

تحدث عن هذا الدور المستشرق "سان سيمون" عن جانب من جوانب الدور التعزيزي للإسلام في كتابه * علم الإنسان * بقوله : إن الدارس لبنايات الحضارات الإنسانية المختلفة، لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في النهضة العلمية الأوروبية الحديثة.[1]

أما *أوغنست كانط* فقد أدرك قدرة الإسلام في التعامل واحتواء جميع العقول والفلسفات و الأفكار الإنسانية....وعبر عن ذلك بقوله :

"إن عبقرية الإسلام و قدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل كما هو الحال في الأديان الأخرى، بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوصفية نفسها، لأن الإسلام لا يتماشى أساسا مع واقع الإنسان، كل إنسان، بماله من عقيدة بسيطة، ومن شعائر عملية مفيدة"[2].

أما *ستبرل* عميد كلية الحقوق بجامعة 'فينا' فيقول في مؤتمر الحقوق سنة1927 : "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل اسمه *محمد*(صلى الله عليه و سلم) إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا، أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيون أسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة"[3]

إن الإسلام هو دين الاعتراف بالآخر والحوار معه، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما سيساعده على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء

[1] رشدي فكار، نظرات الإسلامية للمجتمع و الإنسان خلال القرن الرابع عشر هجري، القاهرة، مكتبة الوهب ط1. 1980م، ص31.
[2] المرجع نفسه، ص32.
[3] عبد الله ناصح علوان، المرجع السابق.

ونكران الآخر، لهذا أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، و الطرق السليمة في مخاطبة الآخر.

قال تعالى :{**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[1].

على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال بالتي هي أحسن "إن المنهج الحضاري المتكامل يكمن في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم" ومن الملاحظ عن التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى بالموعظة بأن تكون حسنة، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي أحسن، لأن الموعظة غالبا تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون- عادة – مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن، على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتين، طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان المسلم داعية مأمورا أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود."[2]

و قال تعالى:{ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}[3].

ثم بين الإسلامَ نوع العلاقة التي يجب أن تسود المسلمين وغيرهم: إنها علاقة التعاون والإحسان و البر والعدل. فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة السامية، قال تعالى:{**لاَ**

---

[1] الآية 125، سورة النحل

[2] يوسف قرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق ، ط1، 1424ه – 2004م، ص41.40

[3] الآية 64، سورة آل عمران

يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنْ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُم فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دياركم أن تَبَرُوهُم وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَ اللهَ يُحِبُ المُقْسِطِين.}[1].

وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، ومن ثم يتبين للباحث مدى العمق الإسلامي لمفهوم الحوار بشكل عام، و لمفهوم حوار الحضارات بشكل خاص.

- **الإسلام يرفض المركزية الحضارية :**

و يعتقد الباحث مع ذلك أن الإسلام كدين و حضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد للعالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط و التكتلات الحضارية الأخرى، فالإسلام يريد العالم أن يكون منتدى الحضارات المتعددة وأن تتفاعل وتتساند، في كل ما هو مشترك إنساني عام. و إذا كان الإسلام دينا عالميا و خاتم الأديان، فإنه في روح دعوته و جوهر رسالته لا يرمي إلى الاستسلام للمركزية الدينية التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد..وما يفسر ذلك: عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية أنها سنة من سنن الله تعالى في الكون. قال تعالى : {**لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَةً وَاحِدَةً وَ لَكِنَ لِيَبلُوَكُم فِيمَا أَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَات إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**}[2].

[1] الآية 8، سورة الممتحنة.
[2] الآية 48، سورة المائدة.

وقال أيضا: {وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[1]

إن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات و الحضارات تتبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم السماوية.

المبحث الرابع: حوار الحضارات في كتابات نجيب الكيلاني:

لعل المتأمل في حركة الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر يدرك بوضوح تام أنها تزداد تفاعلا يوما بعد الآخر بل كانت أكثر حضورا من ذي قبل مع واقع الأمة الإسلامية وقضايا الحياة الإنسانية، إذ نلحظ الساحة الأدبية تزخر بالكثير من الأعمال الفنية الإسلامية الناضجة والمعبرة بواقعية عن ذلك الواقع وظروف الحياة الإنسانية المتداخلة مع بعضها البعض في روح متفائلة لا يشوبها أي تشاؤم أو يأس.

ولعل من أهم هذه الأعمال نجد كتابات " محمد نجيب الكيلاني " وهو أحد أبرز رواد الأدب الإسلامي ورائد الرواية الإسلامية على صعيد الوطن العربي والإسلامي، وأحد أبناء الصحوة الإسلامية، ومن هنا كان لا بد أن يغيب عن الساحة الأدبية والعامة والإعلامية بل ويلقى التجاهل والإهمال وإن كانت أعماله الفنية الرائعة قد تجاوزت حدود الوطن العربي والإسلامي، وذلك لا لشيء إلا أنه يمثل آثار الصحوة الإسلامية.

في حين لو نظرنا إلى أدباء كانوا هم أقل منه عطاء وإنتاجا وموهبة وأدنى منه مستوى وجودة لوجدنا أنهم قد حازوا على نصيب من الجوائز والأوسمة وإن كانت أعمال أولئك هابطة وتعج في طياتها بالخبث الفاضح، والفكر المنحرف، وهذا الاحتفاء والتكريم جاد من مختلف دورهم الخاص في هدم القيم والمثل الإسلامية

[1] الآية 118، سورة هود.

العليا من نفوس أبناء الأمة الإسلامية، والبناء على أنقاض تلك الأوهام والانحراف التي لا تزيد الفرد المسلم إلا الشك في التراث الإسلامي المشرق والنفور منه.

حيث جاءت دراسة للدكتور " حلمي القاعود"[1]

تحت عنوان : الرواية الإسلامية المعاصرة التي أشار من خلالها إلى إحدى روايات الكيلاني بوصفها أنموذجا للرواية الإسلامية.

الكيلانـــــــــي:

أ- حياته:

نجيب الكيلاني: ولد الدكتور نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني في أول يونيو 1931 م الموافق لمحرم من عام 1350 هـ ولد في قرية شرشابة التابعة لمركز فنى لمحافظة الغربية لمصر، وكان أول مولود يولد لأبيه وأمه، وعلى غرار عادة أهل الريف في هذا الوقت التحق نجيب الكيلاني بكتاب القرية في سن الرابعة حيث تعلم القراء والكتابة وقدرا من الأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصص الأنبياء وقصص القران، وكانت أسرته تعمل بالزراعة، وكان منذ صغره يمارس العمل مع أبناء الأسرة في الحقول، ثم التحق بالمدرسة الأولية ثم مدرسة الإرسالية الأمريكية الابتدائية لقرية سماط ثم قضى الثانوية في مدينة طنطا وأخيرا التحق بكلية الطب بالقاهرة عام 1951م، وبعد تخرجه عمل بوظيفة طبيب امتاز في مستشفى (أم المصريين) بالجيزة عام 1961 ثم طبيبا ممارسا بقرية (شرشابة) ثم انتقل ليعمل في وزارة النقل والمواصلات، وتسلم عمله في القسم الطبي بهيئة السكك الحديدية ثم سافر إلى دولة الكويت ليعمل طبيبا هناك وذلك في اليوم الحادي والثلاثين من شهر مارس 1968 ثم انتقل منها إلى دولة الإمارات العربية، ولقد اتصف ببشاشة الوجه وروح الدعابة والتواضع الجم، وهو الخطيب

[1] دكتور وأديب وناقد إسلامي مصري له عدة مؤلفات منها الرواية الإسلامية المعاصرة.

المفوه صاحب الفكر المتفتح، يقول عنه أحد أبنائه اشتهر بأن خلقه القرآن، يرى الخالق في كل معاملاته ولقد تحمل الكيلاني آلام مرضه دون أن يبث ألمه وهمه لأحد حتى أقرب الناس إليه فقد صبر على آلام الكبد الوبائي، وكان لا يُشعر أحد ممن حوله بمعاناته، وكان أمله في الله قويا جدا حتى آخر لحظة وقد كان مستعدا للقاء الله راضيا بقضائه، ذاكرا الله في كل لحظة حتى آخر رمق في حياته، وكان يرتل القرآن في غيبوبته وفي يوم الاثنين 4 شوال 1413هـ الموافق لـ 1995/3/6 توفي بعد مرض عضال عانى منه أشد المعاناة، وكان في أثناء مرضه مثال المؤمن المحتسب، بعدما خلف تراثا أدبيا ضخما.

تزوج الراحل نجيب الكيلاني عام 1960 من الأديبة الإسلامية " كريمة شاهين" شقيقة الأديبة الإذاعية المصرية" " نفيسة شاهين" ورزق بثلاثة ذكور هم: الدكتور جلال، والمهندس حسام، ومحمود المحامي، كما رزق بأنثى هي: الدكتورة عزة

ب- فكره:

يعد نجيب الكيلاني(1931-1995) الروائي الإسلامي الأول في الأدب العربي، حيث قدم للمكتبة العربية عددا كبيرا من الروايات والقصص القصيرة، وهي في عمومها صادرة من التصور الإسلامي وبذلك استطاع أن يقدم الأنموذج الإسلامي في الرواية والقصة.

وقد عالجت كتاباته موضوعات عدة من بينها ما اخذ طابعا رومانسيا، والذي عبر من خلاله عن هموم الناس والعلل الاجتماعية المتفشية بينهم، وأمثلة ذلك (الطريق الطويل، الربيع العاصف، الذين يحترقون، في الظلام، عذراء القرية، حمامة سلام، طلائع الفجر، ليل، ابتسامة في قلب الشيطان)

ومنها ما تناول الجانب التاريخي، حيث جاء استلهامه للتاريخ في الرواية إبرازا لمعطيات الإسلام العظيمة، وكذا ليقدم النماذج الإنسانية المشرقة من حضارتنا، وفي بعض الأحيان استدعى التاريخ ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمة بالإحباط

واليأس وله عدة كتابات عبرت عن ذلك (نور الله، قاتل حمزة، أرض الأنبياء، مواكب الأحرار، اليوم الموعود، النداء الخالد، أرض الأشواق، رأس الشيطان، عمر يظهر في القدس).

وكذا الرواية الاستشرافية التي عبر فيها عن هموم المسلمين خارج حدود العالم العربي، واستطاع أن يكشف للعالم مأساة دامية أصابت ملايين المسلمين المنسيين الذين لا يتحدث عنهم أحد إلا نادرا، وتعد رواياته (ليالي تركستان، الظل الأسود، عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال) من أشهر رواياته في هذا الإطار[1].

أما ما كان من روايته في الوقت الراهن، هو ما أطلق عليه الواقعية الإسلامية، ويعبر فيها عن القضايا الاجتماعية التي تهم جموع المستضعفين في الوطن، ويتخذ من تفاصيل الحياة اليومية والاجتماعية عناصر أساسية يرتكز عليها في بناء هذه الروايات، وأيضا إنه يطرح عبر سطورها رؤية الجيل الجديد للأحداث، وموقفه من قضايا الحرية والعدل والأمن والرخاء والمستقبل، وتعد رواياته الأربع أو رباعيته التي أنتجها على مدى عامين تقريبا وهي (اعترافات عبد المتجلي، امرأة عبد المتجلي قضية أبوا الفتوح الشرقاوي، ملكة العنب) من أفضل النماذج وأبرزها في الدلالة على هذا الإطار.

وقد اهتم نجيب الكيلاني بأسلوبه الروائي، اهتماما كبيرا، ولعل ذلك يرجع إلى كونه شاغرا أيضا، يملك القدرة على الأداء اللغوي الجيد، كما أنه معجما غزيرا يتيح له فرصة للتعبير الدقيق والمتسامي عن مختلف المشاعر والأحاسيس[2].

وقد لفت الإنتاج الوفير للأديب شعرا ونثرا انتباه كثير من النقاد مثل: د.جابر قميحة، الذي كتب عنه عددا كبيرا من الدراسات مثل (نجيب الكيلاني بين الرسالي وآفاق التطور) ، (نجيب الكيلاني...الشاعر والشاعرية) وهذا إلى جانب بعض

[1] محمد حسن بريغش، المرجع السابق،ص 35.

[1] سعيد صادق الولي: مفهوم الكتابة الروائية عند نجيب الكيلاني، مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثالثة العددان 10،9 ديسمبر 1955م- أبريل 1996 ص: 41.

البحوث والدراسات الأخرى. كما حظي أدب الكيلاني برسالتين جامعتين، ورغم هذا الاهتمام فإن إبداع الكيلاني ما زال في انتظار إنصاف النقد الأدبي

استطاع الأديب الراحل نجيب الكيلاني أن يقدم صورة للأدب الإسلامي المنشود، وأثبت الصلة بواقع الحياة ويقف شامخا في مواجهة الآداب الأخرى، ويرد علميا على الإبداعات التافهة عبر حياة جادة كانت حافلة بالمعطاءات الأدبية كما قال العلامة " أبو الحسن الندوي".

وبهذا فإن نجيب الكيلاني استطاع أن يتبوأ مكانة مرموقة بين أترابه من الأدباء وهو يعد من أبرزهم إذ جعل من القيم الإسلامية محورا لأعماله الأدبية، فكان من أوائل الداعيين إلى أدب إسلامي بعد سيد قطب وشقيقه محمد قطب حيث قدم عام 1963 كتابه " الإسلامية والمذاهب الأدبية" متجها بدراسة وجهة أدبية جمعت بين النظرية والتطبيق.[1]

كما شارك في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية والعلمية وترك ثروة ضخمة من الأعمال الأدبية والفكرية التي جاوزت التسعين عملا ومن آخر إبداعاته الروائية نجد: " ملكة العنب" و" اعترافات عبد المتجلي" و" حكاية جاد الله" وقبل رحيله ترك ثلاثين فكرة لثلاثين رواية إسلامية، ودونها في مفكرة صغيرة عن مشكلات المجتمع المسلم.

تحول الكثير من أعماله الروائية إلى أعمال فنية، حيث فاز فيلم " ليل وقضبان" عن روايته " ليل العبيد" بالجائزة الأولى لمهرجان طشقند السينمائي عام 1964 تحولت رواية " الليل الموعود" إلى مسلسل إذاعي وتلفزيوني إنتاج مصري ليبي مشترك قدم في شهر رمضان باسم (ياقوتة ملحمة الحب والسلام) عام 1973، ترجم الكثير من أعماله إلى اللغات الانجليزية والفرنسية، والتركية، والروسية، والفارسية، والصينية، والاندونيسية، والإيطالية، والسويدية.

[1] سعيد صادق الولي ، المرجع السابق ، ص50.

في أيام الرحيل أبدع مسرحية " حبيبتي سراييفو" التي لم ينتبه إليها القراء والنقاد، فلم يذكرها كاتب أو ناقد حتى الآن.

ج- آراء الكيلاني في قضايا الأدب الإسلامي:

❖ **الإبداع:**

يرى الدكتور نجيب الكيلاني أن الإحساس ينشأ بالجمال من صورة كلية، تتناسق عناصرها ، و تتألف ألوانها ، و تنسجم علاقات آخراتها، فتعطي انطباعا متميزا بالرضى و الفرح و المساعي الغنية بالإيحاءات الظاهرة أو الباطنة و قد يكون من الصعب عمليا تحري تفاصيل الصورة الجمالية الدقيقة و جزئياتها سواء الخفية و التي تبدو للعيان، و لكن القدرات العقلية المحدودة يمكنها أن تلتقط عددا من السمات أو العلامات التي تقرر بعض المواصفات الجمالية على وجه التقريب.[1]

و من يتأمل في صنع الله و يجل بنظراته في هذا الكون الشاسع من بحار و أنهار و جبال و سهول و نباتات متنوعة و حيوانات مختلفة و يتأمل ظواهر الكون و ما تحفل به السماء و ما تخفيه الأرض في طياتها، من يتأمل هذا كله بقلب مفتوح و عقل مفكر يخر لله ساجدا أمام هذا الكمال و الجمال المذهل، و نقرأ آيات القرآن و نستوعب ما فيها من تعبير الهي و تصوير لمختلف المعاني و نستنكه سر ما فيها من علاقات بين الحروف و الكلمات و ما فيها من سلاسة في العرض و جمال في السرد و إيقاع في النطق فينساب إلى نفوسنا شعور بالإيمان و الثقة و الجمال.

و مع ذلك يزعم الزاعمون أن الإيديولوجيات تعوق الإبداع الفني و تنال من الشكل لحساب المضمون و تنفيذ الالتزام و تهدر فيه الحرية التي هي أساس الإبداع، و لو كانوا منصفين حقا لما فاتهم النظر إلى تلك الحقائق الحية النابضة بالحق و الجمال المتمثلة في الإعجاز البياني لكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و التراث الأدبي الإسلامي العريق بشتى ألوانه.

[1] د.أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين في الأدب و النقد ج 3 ص 207. دار ابن حزم بيروت- لبنان ط 1 -2009 م

كما يرى الدكتور نجيب الكيلاني أن الإسلاميين حريصون على الإبداع و هم يوظفون هذا الإبداع توظيفا ساميا في سبيل دعوة الله و هم حريصون على إيصال كلمة الحق إلى البشر كافة، فأصحاب النفوس الضعيفة يدخلون إلى عالم الإبداع عرايا من القيم الفاضلة أما الإسلاميون فيدخلون إليه من الطريق الصحيح متسلحين بالإيمان و الحب حتى تكون الكلمة رحمة و خيرا و هداية للعالمين، لأن الخير جميل و الحق جميل و الحب جميل و لأن الله أولا و أخيرا «جميل يحب الجمال»[1].

❖ **الوجه الحضاري للأدب الإسلامي:**

لقد توهم البعض من أصحاب النوايا الحسنة، أن الأدب الإسلامي يحفل أساسا برصد البطولات الفردية وحدها، و نيران المعارك الحربية، و تدمير قوى الكفر و معاقل الطغيان، و قد يكون لهذا الجانب أهميته، لكن الأدب الإسلامي الصحيح يركز أساسا على ما يمكن أن نسميه «قيم الحضارة الإسلامية».[2]

و يرى الدكتور نجيب الكيلاني أن النماذج المعاصرة للأدب الإسلامي غالبيتها - للأسف – تهتم بإبراز البطولات الفردية و المعارك القديمة الطاحنة، و روعة التضحية و الفداء، و أن عددا قليلا من كتاب العصر الإسلاميين يحاولون جاهدين إزالة الغبار عن القيم الحضارية للعقيدة، من خلال أشكال فنية و عصرية تشمل القصة و القصيدة و المسرحية و التمثيلية و الرواية السينمائية و غيرها.

إن الفكر الإسلامي – و كذلك الأدب ليس انعزاليا بفطرته، بل هو أدب حي يتفاعل مع أحداث العصر و منجزات العلم، و مع التغيرات الاجتماعية و البيئية و يرصدها بوعي أي يحدد موقفه منها على ضوء المعطيات الحضارية الإسلامية، لأن الموقف الانعزالي موت، والذوبان في خضم الغزو الثقافي فناء، و اللامبالاة بما يجري ضياع و إهدار لفاعلية العقيدة[3].

---

[1] صحيح مسلم جزء 2 ص 89.
[2] د.أحمد الرفاعي شرفي: مقالات تاإسلاميين في الأدب و النقد ج 2 ص 43. دار ابن حزم بيروت- لبنان ط 1 -2009م
[3] المرجع نفسه ص 44.

و إذا كانت الحضارة فكرا و ممارسة أو عقيدة و عملا و التزاما فإن مسؤولية الأديب المسلم أخطر بكثير مما يتصور البعض، ف الأدب الإسلامي الصحيح جزء لا يتجزأ عن الواقع و حركة الحياة و العمل الدائب.

و يعتقد الدكتور الكيلاني أنه بات لزاما على الغيورين على الأدب الإسلامي أن يبدؤوا بعمل الآتي:

أولا: رصد جوائز سنوية للأدب الإسلامي في فروع:

- القصة القصيرة.
- المسرحية.
- الرواية.
- الشعر.
- تاريخ الأدب الإسلامي.
- نقد الأدب الإسلامي.
- القصة التمثيلية أو السينمائية.

ثانيا: عقد مؤتمر دولي سنوي للأدب الإسلامي.

ثالثا: وضع مواصفات معينة لمادة الأدب الإسلامي في مناهج المدارس.

رابعا: إنشاء أقسام متخصصة للأدب الإسلامي في الجامعات.

خامسا: إنشاء دار نشر عالمية لتأليف و ترجمة الأدب الإسلامي.

قد يكون ذلك منطلقا جديدا، لتحديد ماهية الأدب الإسلامي، و ارتباطه أساسا بقيم الحضارة الإسلامية[1].

[1] د.أحمد الرفاعي شرفي: المرجع السابق، ص 46-47.

❖ حوار مع الدكتور نجيب الكيلاني [1]:

يعد الدكتور ((نجيب الكيلاني)) من أبرز الروائيين الإسلاميين المعاصرين.. وقد شهدت له الأوساط والمحافل الأدبية بحسن أدائه الرفيع، وإبداعه المميز، وفنه الأصيل الذي صاغه في القوالب الفنية المختلفة من الرواية، والقصة، والمسرحية، والشعر... فضلاً عن الدراسات الأدبية المتنوعة.

كما يعد الدكتور نجيب الكيلاني من أوائل الأدباء الذين تبنوا فكرة الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وإنشاء رابطة للأدباء الإسلاميين.. حتى تحقق الحلم الجميل.. وقد كرمته رابطة الأدب الإسلامي العالمية تكريمًا يليق بتاريخه الأدبي.. وبمكانته في الأدب الإسلامي.

وفي هذا اللقاء مع ((نجيب الكيلاني)) نحاول أن نتعرف رأيه في كثير من القضايا الأدبية التي تفرض نفسها على الساحة.. والتي تضاربت حولها الآراء، وتباينت فيها وجهات النظر. بل إن اللقاء مع نجيب الكيلاني هو هدف – في حد ذاته – باعتباره قمة أدبيه وفنية في عالمنا المعاصر، وضع قواعد وأسسًا ونظرات فنية فريدة من نوعها كلها تمتاز بالأصالة والنضج العقلي والعاطفي الذي بلغ ذروته خلال مسيرته الأدبية وجاء الحوار مع الروائي نجيب الكيلاني – على النحو التالي:

- سألت الأديب الإسلامي الكبير د.نجيب الكيلاني – في البداية – عن القواعد الأساسية والخطوط العامة لما يمكن أن يسمى ((أدبًا إسلاميًا))... فقال:

من حسن الحظ أن الإسلام لم يحدد ((شكلاً)) فنيًا معينًا يلزمنا به، بحيث ندور في إطاره، فلا نتعدى رسومه، وإنما حدد الإسلام ((المضمون)) أو الفكر الذي يتناوله الفنان في الشكل الذي يختاره.

فالإسلام يختلف عن غيره من الفلسفات الإنسانية، فمن الفلاسفة من يرى أن الإنسان طبيعته الشر، وأن الأصل في الحياة الكذب والنفاق والجبن، ومن الفلاسفة من يرى أن الفن غاية في حد ذاته وليس وسيلة لبلوغ أي هدف، وهم دعاة ((الفن للفن)).

أما الفنان المسلم فله فهمه الشامل للحياة والإنسان، وله إيمانه بأن الفن وسيلة لبلوغ

[1] محمد عبدالشافي القوصي:مجلة الأدب الإسلامي/السنة الثالثة/العددان التاسع والعاشر1416هـ، ص170-173

غاية عظمى، ألا وهي تكوين ((الوجدان)) المشبع بروح الحق والخير والحب..

والفن الإسلامي لا يختار نماذجه من أمثلة الخير والحب والفضيلة وحدها، بل يقدم شتى النماذج خيِّرها وشريرها، عاليها وسافلها، وإلا انعدمت الحركة الفنية، والصراع النفسي، إنها معاناة أصيلة نابضة، تبعث في نفسه لونًا من ألوان ((القلق)) العظيم، وتحرمه الإخلاد للكسل والسلبية والأنانية.. وهذا هو الفن العظيم.

وعالم الأدب والفن الإسلامي عالم فسيح رحب، يستوعب التجارب الأسطورية والتاريخية والواقعية المعاصرة، ويجول في أنحاء الشرق والغرب، ويبرز التجارب المحلية والعالمية، ويرتبط بقضايا الإنسان عامة وقضايا المسلمين في شتى أنحاء المعمورة خاصة.

أدب معقول... وأدب مرفوض

- أستاذنا.. ما هو تقييمكم للتراث الفكري والأدبي المعاصر، على المستوى المحلي والعالمي – ماله وما عليه.؟؟

إذا نظرنا إلى التراث العالمي المعاصر، وجدنا ركامًا هائلاً من القصص والمسرحيات ودواوين الشعر، والأفلام السينمائية، واللوحات الفنية وغيرها، وكلها تئن تحت وطأة الإثم والتحلل والسخط واللامبالاة، وتعبر عن الرغبة المجنونة في الهدم والتدمير، والرفض الصاخب لصور الحياة السائدة.

ولكن عالمنا العربي لا يرزح تحت نفس الظروف والأوهام والانحرافات التي عانى منها الغرب.. ويؤسفني كثيرًا أن أرى مفكرينا وأدباءنا يروجون للبدع الغربية، وينساقون وراءها دون تَرَوٍّ، فالمفروض أن يكون أدبنا مرتبطًا بتراثنا، وواقعنا، ومعبرًا عن آمالنا وآلامنا، ونابضًا بقيمنا الروحية الخالدة..

وهذا يعطينا دليلاً آخر على أن الجري خلف البدع المستوردة لا يكون دائمًا خطوة إلى الأمام.

وهذا لا يعني أن نغلق النوافذ والأبواب، ونتقوقع داخل قمقم من العزلة والأفق الضيق والتعصب، بل لابد أن نكون مستعدين دائمًا لاستيعاب التجارب الجديدة، دون أن نفقد أصالتنا وتميزنا والالتزام بقيمنا الخالدة..

الخراب الفكري والعقائدي

- ما رأيكم فيما يقال بأن الأدب والفن هو تمرد على الثوابت؟.. وإذا كانت الحرية هي من أهم شروط الإبداع الجيد.. فإلى أي مدى يمكن للأديب الإسلامي أن يجمع بين الحرية والالتزام في آن واحد؟!

لابد أن نعلم أن حرية الفكر لم تكن مجرد شعارات ترفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، إنما لابد أن تكون واقعًا حيًا ملموسًا وسلوكًا عمليًا يراه الناس ويمارسونه، وأن الحريات لم تكن مجرد نصوص في دساتير ومواثيق وإنما هي تطبيق مؤثرٌ، ودافع قوي للإبداع.

وهل كان غريبًا أن ينظر الغرب المتخلف – يومًا ما – إلى الشرق نظرة إعجاب وتقدير وامتنان، حتى أدرك الغرب أنه لا يستطيع أن يقيم دعائم حياة كريمة إلا إذا استفاد من تراث الحضارة الإسلامية واستوعبها، وحاول مواصلة السير على منهاجها، حتى إنهم أخذوا يتعلمون لغتنا، وينقلون علومنا وفنوننا، بل استفادوا من أساليبنا في الحياة، ومن الموسيقى والشعر والغناء، فهذا هو الشاعر الكبير ((دانتي)) في الكوميديا الإلهية يقتفي أثر شاعرنا الكبير أبي العلاء المعري في رسالة الغفران.. والصورة الحقيقية لحضارتنا أنها أقامت بناءها الشامخ الخالد، على دعائم ثابتة من حرية الفكر، فأنجبت نخبة فريدة من عمالقة الرجال في شتى فروع المعرفة الإنسانية.

أما عن دعاة التمرد وأدعياء الحرية فكل ذلك بمثابة ((بدعة)) ليتشبث بها الضائعون والتائهون، وأسموها فلسفة، إنها لا ترمز إلا إلى الانعتاق من كل مسئوليات العقائد، والانفلات من كل القيم... والغريب أن المروجين لهذه الشعارات يسمونها ((موقفًا)) وأحيانًا يدعونها ((وجودية)) و((تعبيرًا عن الذات)) بل يحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول، وقد تكون لهذه ((البدع)) الفكرية في أوروبا ما يسوغها، لكن في الشرق المستعبد الممزق التائه، يلتقطونها ويروِّجون لها، ويتخذونها دينًا جديدًا، فيسقطون في خطر داهم، وفناء محتم.. وهو الخراب الفكري والعقائدي.

إن من ينظر إلى صحفنا ومجلاتنا ومطبوعاتنا في السنوات الأخيرة يستطيع أن يقرأ بوضوح سوء المصير، ويشم رائحة الضياع والحسرة. والأديب الإسلامي الملتزم رجل عقيدة وفكر، رجل حركة وعمل، يسترخص كل شيء في سبيل عقيدته، ولا يقيس المعارك بحساب الحياة والموت، والخوف والخسائر المادية، وإنما يقيسها بالعمل الجاد والجهاد وبمقاييس الحق والعدل.

لكل فكرة موقف

- كيف تنظرون إلى التحيز الفكري والمذهبي عند الخصوم، فضلاً عن اتهامهم الإسلاميين بالرجعية والردة والتخلف إلى آخر هذه الأسماء التي امتلأت بها الصحف والمجلات..؟!

أنا لا أرفض التحيز بالنسبة لأي مثقف، وهذا مجرد رأي، لكن الذي أرفضه أن يكون هذا التحيز منبعثًا من ثقافة ناقصة، إن لكل مفكر موقفًا، ولكي يختار موقفه، يجب أن يتدارس المواقف المهمة والبارزة، فكثيرًا ما قرأت لقوم يهاجمون الأديان دون أن يلموا بأصولها الأولية، وكثيرون أخذوا علمهم من مبشر حاقد، أو مستشرق ناقم، أو كاتب موتور، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عن الحقيقة.

لذا أقول: لا بأس أن يكون لكل مفكر موقف، أي أن يتحيز لموقفه.. على أن ينطلق هذا الموقف عن وعي وفهم ودراسة. أما عن تلك الهجمة الشرسة التي تطارد أو تحاصر الشرفاء والمخلصين، وقد صورهم المغرضون بصورة المتخلفين عن قضايا عصرهم، وبصورة اللاهثين وراء فتات الموائد.. نعم.. إن هذا الإرهاب الفكري هو الذي يمارسه هؤلاء المتخبطون، الذين يرمون المخلصين بالانحراف والتخلف والتبعية، ومن ثم أصبح النقد لونًا من ألوان المطاردة العنيفة لكل ماهو جاد وأصيل، حتى وجد المخلصون أنفسهم محصورين في زوايا ضيقة، مرغمين على الاستسلام والصمت، وخلا الميدان إلا من العازفين على أوتار القيثارة الرسمية، وتحول الفن والفكر إلى هتاف وصياح وصرخات تشنجية!

مؤهلات الأديب

- بعد أن قطعتم شوطًا كبيرًا في ممارسة الإبداع والنقد معًا نريد أن نتعرف مؤهلات الأديب المعاصر – أو التي ينبغي أن تتوافر فيه – من وجهة نظركم..؟؟

نعم.. إن من البديهي أن لكل إنسان استعداداته الخاصة، وميوله الشخصية، أو موهبته الفطرية، وهي أمر أساسي في أية مهنة أو حرفة يختطها الإنسان في حياته، ثم يأتي بعد ذلك دورنا في رعاية هذه الموهبة وصقلها، حتى يمكنها أن تؤدي الرسالة المنوطة بها.. فضلاً عن ذلك هناك بعض الاشتراطات الجوهرية التي لابد منها لأي أديب يريد أن يقدم عملاً أصيلاً في أي فرع من فروع الأدب.

أولها:اللغة لأنها الأداة التي سوف يستعملها الأديب في صياغة أفكاره، ولذلك فإن تعلم اللغة العربية وقواعدها، والإلمام بالتراث يعد مسألة حيوية لأي أديب يريد أن يكون له شأن مذكور في عالم الأدب.

الأمر الثاني: باعتبار أن الأديب مرآة عصره، فلابد أن تكون له حصيلة من الثقافة العامة، بمعنى ألا يتقوقع في حيز ضيق من الثقافة حتى لا يفقد الرؤية السليمة والحكم الصادق على الأشياء..

ثالثًا: على الأديب أن يطَّلع على التجارب الأدبية المتنوعة لكبار كتاب العصر، فهذه النماذج هي في واقع الأمر الأستاذ الأول لأي أديب، وهي تأتي قبل الدراسة ((الأكاديمية)) للعلوم الأدبية مثل فن القصة أو فن المسرحية وعلم العروض وأوزان الشعر.

رابعًا: من الضروري أن يرتبط الأديب بأهداف عليا، وغايات نبيلة، وهذا لن يكون إلا إذا كان للأديب منطلق فكري واضح، أو فلسفة محددة يمكنه أن يلتزم بها، لأن الأدب ليس مجرد كلمات جميلة، أو عبارات عذبة، وإنما الأدب الأصيل هو الذي يجمع بين عناصر ثلاثة:

1– إثارة العقل وإقناعه.

2– تحريك الوجدان وإشعاله.

3– التحريض على فعل شيء ما، وهو أمر يرتبط بسلوك المتلقي.

عندئذ يكون لذلك الأدب قيمة حقيقية، ويكون الأديب – أيضًا – حاملاً لرسالة عظيمة.. وهنا يكمن السر في ذلك الخلود الذي حظي به كثير من الكتاب على مر الأجيال والعصور، وهنا يتضح لنا كيف أن التاريخ جر أذيال النسيان على تراث كتاب كثيرين لم تكن مؤلفاتهم تساوي ثمن المداد والأوراق!!

الموهبة.. والثقافة

- د.نجيب الكيلاني... كيف يختار الكاتب القصصي ((الفكرة)). وهل بالضرورة أن تعبر الفكرة عن شيء حقيقي في الحياة..؟

لابد للعمل الناجح أن يكون نابعًا عن فكرة أو موقف في الحياة، وهي التي تدور حولها الصراعات والحوار والوصف والسرد والبناء العضوي ككل. المهم أن هذا يعتمد على حسن اختيار الكاتب للفكرة، ومدى قدرته على الإقناع.. ولا يمكننا بطبيعة الحال أن نفصل الفكرة عن الشكل الفني المميز للقصة..

وفي رأيي أن ثقافة الكاتب محصلة لخبراته في الحياة، وقراءاته المختلفة في شتى فروع المعرفة، ومواقفه المتباينة إزاء الأحداث والناس والقيم.. والكاتب الموهوب يستطيع أن يمزج ذلك كله، ويستوعبه ويتمثله، ثم يخرج بالجديد الذي تكون لديه قناعة تامة، ومن ثم قد تكون الفكرة فكرته، وقد تعجبه فكرة اقتنع بها عبر التراث أو التجارب والأحداث التي مر بها الآخرون، وهل ينكر أحد أن التراث الديني والفلسفي والتاريخي في العصور الغابرة والعصور الحديثة أيضًا يُعَدُّ كنزًا فريدًا لأفكار لا تعد ولا تحصى.. المهم أن تكون الفكرة متوائمة مع احتياجات الواقع، ولها دور بناء في دفع عجلة الحياة إلى الأمام، والعمل على إسعاد البشر، وإثارة وجدانهم وعقولهم، وتجعلهم دائمًا في شوق إلى اتخاذ موقف أو فعل شيء إيجابي.. من خلال الأقوال والأعمال.. ولابد أن نأخذ في الاعتبار أن إثقال الفن بالأفكار المقحمة، والقيم العنصرية المريضة عمل يسيء إلى الفن والفكر ويهبط بمستوى الأداء، ويهلهل الشكل الفني بالكلية.

الفكرة إذًا مهمة، لكنها في يد الفنان المقهور العاجز تضر بالصورة الفنية أبلغ الضرر، ولهذا سمعنا عن مؤسسات موجهة ساقت الفنانين إلى حظائر السخرية الفنية، وألزمتهم بموضوعات معينة، وأفكار مغرضة... فكانت النتيجة أن بقيت ملايين النسخ من تلك الكتب، ملقاة في مخازنها يعشش فوقها العنكبوت، ولم تستطع برغم ألوان الدعاية المختلفة والتسهيلات الكثيرة أن تجد الطريق إلى عقول القراء وقلوبهم...

د- آراء النقاد في أعماله:

يرى د- جابر قميحة أن الكيلاني لديه إحساس عميق بتكثيف الجمال الفني المرتبط بالغموض أحيانا في بعض أعماله إلا أنه لا ينسى مسؤوليته اتجاه القارئ وخوفه من أن يقع في براثن الفهم الخاطئ فتراه في كل أعماله بخيوط الوعي المتيقظ التي تجعل لكتاباته الروائية متعة خاصة.

كما يؤكد د- حلمي القاعود أن نجيب الكيلاني كان فريدا في فك الفضاءات المكانية والمجالات الزمانية في أعماله عبر احترافه وحفاوته بالتحليل الدقيق والمنظم واستطاع أن يملأ الساحة بالبديل الصحيح، حيث يعد أغزر الكتاب إنتاجا على الإطلاق[1].

[1] حلمي القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، دار النشر عمان الأردن 1996م، ، ص 11.

إذ قال عنه نجيب محفوظ في عدد أكتوبر عام 1989: إن نجيب الكيلاني هو منظر الأدب الإسلامي الآن ذلك لأن مقولاته النقدية وأعماله الروائية والقصصية تشكل ملامح نظرية أدبية لها حجمها وشواهدها القوية والإسلامية والمذاهب الأدبية، والأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق ومدخل إلى الأدب الإسلامي وتجربتي الذاتية في القصة الإسلامية.

يرى د. محمد حسن عبد الله أن كل إنتاج الكيلاني ذو هادفية مؤمنة، وعمق وشفافية متصوفة تبدو كومض الخاطر بين السطور وهو جاد وعميق ومؤثر، ومتصل أوثق الاتصال بروح هذا الشعب ويملك التأثير في حياة قومه التي كان واحدا من أقرانها المتفردين.

الكيلاني في شعره لا يقل منزلة عن قصصه ورواياته، فهو شاعر الأمل الطريد" الذي يمتلك ناصية الإيقاع والإبداع عبر دواوينه الثمانية التي تنطلق بالفن الأصيل ذي الضوابط والغايات، عبر اللفظة الموحية، والنغمة الرنانة، والتلمس الراهن لقواعد الفن الجميل استطاع الكيلاني –رحمه الله- أن يوظف كثيرا من آليات الفن القصصي في شعره فاستخدم الرمز والقناع والحوار والسرد والتعبير المتلاحق، والارتداد (تذكر الماضي والرجوع للوراء) والمفارقة واللقطات المقتطعة من خلال الأشكال والمضامين التعبيرية المتفردة، كما يرى د-جابر قميحة أول دواوين " نحو العلا عام 1950 وهو طالب بالمرحلة الثانوية وآخرها " لؤلؤة الخليج" وهو الديوان الذي لم يكتمل، مرورا بـ " كيف ألقاك" وعصر الشهداء" و" أغنيات الغرباء" و" مدينة الكبائر" و مهاجر" وأغنيات الليل الطويل.

و يرى محمد إقبال عروي أن الرواية الإسلامية عرفت ازدهارا كبيرا على يد الدكتور نجيب الكيلاني و ذلك لا يخفى على كل دارس لإنتاجه الغزير في هذا المجال و بالرغم من ذلك فإن هذا الإنتاج لم يحظ بأية دراسة شاملة تحدد التطور الفكري والفني لدى الكيلاني... بل إن الذين درسوا رواية من رواياته جاءت تحليلاتهم مضمونة أكثر منها فنية، و لا أعلم أحدا حاول التركيز على بعض

العناصر الفنية في روايات الكيلاني باستثناء الأستاذ محمد المنتصر الريسوني في حديثه عن الحقيقة النفسية لشخصية «وحشي» في رواية «قاتل حمزة» لقد اهتم في حديثه بالبعد النفسي و قارن ذلك بالأدوات الفنية المتحققة في الرواية مثل السرد و الحوار[1]...

عالم الدين في روايات نجيب الكيلاني:

وفي وسط هذا الركام من الروايات التي شوهت صورة شخصية عالم الدين نجد روايات نجيب الكيلاني وقد أظهرت الوجه الإيجابي لعلماء الدين المدافعين عن كرامة الأمة وحريتها واستقلالها ويظهر هذا جليا في رواية " ليالي تركستان" وأحداث هذه الرواية تقع على أرض تركستان الإسلامية التي اغتصبها الشيوعيون نجد الشيخ " خوجة نياز حاجي" وهو من رجال الفكر والدين والوطنية ومعروف بشجاعته وصدق بلائه يذهب إليه الحائرون في " قومل"[2] للاستفسار وطلب الطمأنينة واليقين كان دائما يحث أهله أهل تركستان على الجهاد والتصدي للمستعمر فيقول مشجعا ومحمسا لهم: أدوات النصر أنتم تعرفونها الصبر والصمود...الجهاد حتى الموت ...لا جديد بعد كلمات "محمد" استقطبت أعماله اهتمام كثير من النقاد فشغلت أذهانهم فتناول كثير منهم كتاباته بالنقد والدراسة حيث قدمت عنه دراسات أكاديمية في جامعات مصر والأردن والسعودية والمغرب.

ه/ تجليات حوار وصراع الحضارات في روايات نجيب الكيلاني:

لقد رصدت روايات نجيب الكيلاني أبعاد الحوار والصراع بدقة متناهية ويبدوا ذلك جليا من خلال توظيفه للتاريخ كشاهد أساسي يؤكد على أزلية واستمرارية صراع الحضارات فيما بينها وجاء ذلك كله في قالب قصصي متميز، بأسلوب واضح وألفاظ موحية تحمل دلالات قوية وأفكارا بسيطة خالية من التعقيد وذلك لأن معظم أعماله الروائية تأخذ منهجا رساليا يحاكي الواقع ويتتبع الأحداث التاريخية ليمنح القارئ

[1] د.أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين في الأدب و النقد ص199.دار ابن حزم بيروت-لبنان ط 1 -2009م
[2] هي مقاطعة في تركستان احتلها الصينيون عام 1930

فرصة للتعمق والتأمل وبالتالي تتكون لديه صورة متكاملة عما حدث في الماضي من حروب ونزاعات وفي الوقت نفسه يستطيع هذا المتلقي أن يصل بفكره لاستشراف ما سيكون عليه مستقبل الأمة الإسلامية في ظل ما سيحدث وله روايات عديدة تحدثت عن صراع وحوار الحضارات منها: مواكب الأحرار، ليالي تركستان، عمالقة الشمال، عذراء جاكرتا أما روايته مواكب الأحرار فقد جسدت معالم الصراع والحوار حيث تحدثت عن مرحلة مهمة من تاريخ مصر، وتتمثل في الحملة الشرسة التي شنها نابليون بونا بارت ضدها في أواخر القرن الثامن عشر.

فاتخذ الكيلاني من قرية بولاق أنموذجا أبرز من خلاله صور الصراع العربي الأوروبي الأزلي وكيف أن الأوروبيين يكنون كل الحقد للإسلام والمسلمين وفي فصولها الثلاثة والثلاثين مواضع عديدة رسمت وبدقة مشاهدا كان الصراع العربي الأوروبي فيها واضحا وبينا:

ففي الفصل الثاني من هذه الرواية نجد قول برطلمين لابنته هيلدا" لا تنسي أنه يدين بدين يخالف عقيدتك ياهيلدا ومن ثم فزواجك منه مستحيل إلا إذا ترك دينه وهذا افتراض لا يقوم على برهان"[1]دليل صريح على موقف الأوروبيين من العقيدة الإسلامية الذي لا يتغير.

وفي حديث آخر عن المماليك والأتراك قال برطلمين: "فنحن لا نحب المماليك أو الأتراك أو هذا ما يجب أن يعرف؟...لقد دالت دولتهم وأتت دولتنا ياهيلدا..."[2]رغبة جامحة في حب التملك والسيطرة على الآخر ويكشف لنا من جهة أخرى الغل والكراهية التي يكنها الغرب للمماليك والأتراك في تلك الفترة.

وبالمقابل كان الشعب المصري بجميع فئاته يدرك أهداف العدو وحيلة الرامية إلى زعزعة الدين الإسلامي، وأحداث الفصل الخامس من الرواية تبين لنا ذلك من خلال المنشور الذي وزعه الجنود الفرنسيون على المصريين والذي جاء فيه:

[1] محمد الكيلاني، موكب الأحرار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1415،1/1994،ص15
[2] المرجع نفسه ، ص17.

بسم الله الرحمن الرحيم:" **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله لاَ وَلَدَ لَهُ وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ...يَا أَيُّهَا المَصْرِيُون قَدْ قِيلَ لَكَمْ أَنَنِي مَا نَزَلتُ بِهَذَا الطَرَفِ إلاَ بِقَصْدِ إِزَالَةِ دِينِكُمْ فَذَلِكَ كَذِبٌ صَرِيحٌ لاَ تَصْدُقُوهُ، وَقُولُوا لِلمُفْتَرِيين أنني ما قدمت إليكم إلا لأقتَضَ حَقَكُمْ مِنْ يَدِ الظَالِمِينَ**..."[1] هز الحاج مصطفى رأسه إنها اللعبة المكشوفة التي يلعبها الغزاة الجدد، يا له من رجل طيب ذلك المدعو نابليون ..وكلما تقدمت الحضارة والعلم ازداد الطغاة تفننا في إخفاء مراميهم الخبيثة.

والغريب أنهم قبل غيرهم يعرفون تمام المعرفة مدى ما تنطوي عليه دعاويهم من بهتان.

إن الحضارة الإسلامية حضارة حوار وانفتاح على العالم الآخر وهذا ما دفع عنه وآمن به الأديب الكاتب محمد نجيب الكيلاني في معظم أعماله الروائية، وذلك من خلال تصويره لأسلوب تعايش المسلمين مع الغرب، هو ذلك التعايش المبني على مبادئ وقيم انبثقت عن الدين الإسلامي السمح وفي رواياته مواطن عديدة عالجت موضوع الحوارية بعيون رجال الدين وإسهامهم الفعال في توعية الشعب وإنقاذه من مخططات الغربيين التي تهدف إلى طمس هويتهم والعبث بعقيدتهم بتزيف الأحداث وتغييرها وفق ما يخدم مآربهم ومصالحهم.

ويبدو ذلك جليا في الحوار الدائر بين رجل الدين والعالم الحكيم الحاج مصطفى البشتيلي وبرتلمي في رواية مواكب الأحرار.

....البشتيلي يمضي رافع الرأس وقد شعر بنهايته الأكيدة... وملايين الصور تمر على ذهنه الملتهب ...وأفاق من أحلامه وذكرياته على صوت يعرفه جيدا:

-من يظن أن كلبا تافها ضئيلا مثلك يفعل كل هذا ؟؟

قال الحاج مصطفى باسما تستطيع أن تقول أي كلام، لكنك لا تستطيع الحكم على الرجال لأنك لست برجل...

[1] محمد الكيلاني، موكب الأحرار، مؤسسة الرسالة، المرجع السابق ، ص40/39.

احتقن وجه برتلمي: ماذا؟؟

لا تتعجل يا برتلمي..إنني أعرف مصيري جيدا ..لكن اعلم أن البشتيلي لم يكن سوى واحد من عامة الناس و قتله لن يخمد الثورة التي تشتعل في القلوب ضدكم..والمعركة مستمرة يا برتلمي حتى النصر..والله أكبر...

وقال برتملي فجأة ليحطم كبرياء الرجل العنيد:

لقد بحثنا عن جثتك تحت أنقاض بيتك، فلم نجد إلا امرأتك وابنتك...وقد فاحت رائحتها النتنة..[1]

وراح البشتيلي في غيبوبة أبدية...

وتمتم برتلمي بعد أن انتهى كل شيء.

لم يكن لدينا وقت للتحقيق والمحاكمة..لقد انتهى البشتيلي وانتهت بموته ثورة بولاق..إن مما يسعدني أن الرجال الذين اتبعوه يرون بأعينهم مصيره التعس، ولعل بولاق قد تلقت درسا قاسيا من مصرعه، ومما لحق بها من خسائر فادحة[2].

هذا المقطع يعبر عن مدى ثقة الحاج مصطفى البشتيلي القوية بالله وإيمانه الذي لا يتزعزع وبالرغم من أنه يدرك مصيره المحتوم بقي ثابتا على موقفه كرجل دين...وواجه الموت بابتسامة وبسالة أدهشت العدو. كما نلحظ أنه كان محاورا لا مقاتلا، وجاء في رواية ليالي تركستان[3] ما يؤكد على شموخ الإسلام والمسلمين واعتزازهم بحضارتهم وافتخارهم بدينهم واعتقادهم الراسخ بالنضال من أجل إعلاء كلمة الله وأن الحوار بين الحضارات أصبح ضرورة للتعايش مع الآخر والمقطع الآتي يبين لنا ذلك:

[1] محمد نجيب الكيلاني، مواكب الأحرار، المرجع السابق، ص 275/274
[2] المرجع نفسه، ص277.
[2] محمد نجيب الكيلاني , ليالي تركستان، مؤسسة الرسالة بيروت،

- كل شيء من حولنا يتبدل..لماذا لا يمشي التقدم معانقا للعدالة والحرية، ولماذا لا يسير العالم يدا في يد و الإيمان بخالق الكائنات..لماذا لا تتصادق الشعوب دون أن يحاول شعب إفناء شعب آخر أو تبديده واكتساحه بالهجرة من ألوان وأجناس أخرى[1]وننتقل من ليالي تركستان "إلى" عمالقة الشمال"[2]التي تجري أحداثها في نيجيريا إذ يصور لنا الكيلاني من خلال شخصيات هذه الرواية فهم المسلمين لعقيدتهم وتشبثهم بدينهم الذي كان مصدر قوتهم فنجد الشيخ عبد الله يفهم الإسلام على حقيقته فهو دين ودنيا عقيدة وشريعة فينغمس في الحياة بكل تفاصيلها ويتفهم أبعاد الصراع بين قوى الحق والباطل في إطارها الإنساني العام.

(إن نجيب الكيلاني ابن بار للثقافة الإسلامية الأصلية، تربى في رحاب القرآن الكريم، و نهل من معينة الثر الذي لا ينضب عطاءه صبيا ثم شابا ثم رجلا كامل النمو الفكري و العقلي، لذا فلا عجب أن يكون اتجاهه إسلاميا خالصا، و لا يعرف روائي إسلامي غيره مزج الخيال الأدبي- الفن بالتاريخ – الإسلامي – و خرج بهذا المزج (الفن تأريخي) الذي لا ينكره رجال الأدب و لا يغضب رجال التاريخ، و على الرغم من أن –الكيلاني-ما زال متمسكا بكلاسيكيته القديمة في المعالجة و الحوار، إلا أنه تخلص من الكتابة عن البيئات الشعبية المغلقة و انفتح على البيئات الأكثر رحابة و شمولا ليغطي الهدف الكبير الذي سعى إليه (سلسلة رواياته الحديثة: نور الله – عمر يظهر في القدس – قاتل حمزة – عذراء جاكرتا - عمالقة الشمال ، و أخيرا رحلة إلى الله).

- **نور الله:**

و رواية (نور الله) تصور الصراع الدامي الذي خاضته الدعوة الإسلامية إبان ظهورها ببساطتها و سماحتها و قوة بيانها في مواجهة اليهودية بدهائها و تاريخها و بأوتوقراطيتها ممثلة في "كعب بن الأشرف" و "حيي بن أخطب"

[1]محمد نجيب الكيلاني , ليالي تركستان، المرجع السابق، ص149
[2]د. محمد نجيب الكيلاني ، عمالقة أشمال ، كتاب المختار ط20'2005

و "كعب بن أسد" ، يعضدهم فريق المشركين بقيادة "أبي سفيان بن حرب" ، و فريق المنافقين و على رأسهم "عبد الله بن أبي بن سلول" و يعترف الدكتور بتهيبه و رهبته عندما شرع في كتابة الرواية فيقول:

«...و من ثم فإني أخوض التجربة معترفا بأن شيئا من التهيب و الرهبة يواكب خطواتي لما يتوهج به هذا العصر من عظمة فوق كل تصور و بطولات أسمى من كل وصف – مقدمة الرواية –»، و تشير الرواية إلى خيانات اليهود المتوالية برغم المعاهدات التي أبرموها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بأن لا عهد لهم و لا خلاق ، يقول الدكتور في ص 104 من الجزء الأول:

أقبل – حيي بن أخطب – تحت ستر الليل ، و قصد لتوه دار – عبد الله بن أبي – و كان لقاءا حارا فياضا بألوان المشاعر و الانفعالات المتبادلة و انصرفا إلى مكان أمين لا يعكر وحدتهما فيه أحد ، و تمتم "عبد الله": لقد أقبلت قريش لتثأر لعذابنا الطويل... و أردف "حيي بن أخطب": و لعذابها و أحزانها و شرفها المثلوم أيضا قال "عبد الله": هذا حق يا ابن أخطب .... إن دعوة – محمد – ترمي بسهامها في قلب أعظم مقدسات العرب و تواجه أضخم تجمعاتها في سذاجة و غرور... ماذا يظن – محمد -؟ هل يعتقد أنه قادر على ضرب العرب جميعا ، و تغيير معتقداتهم؟ أيحسب أنه بعدد من الأفكار و البيان الساحر على تحويل العقول و المعتقدات الراسخة؟... و الله لو أخذ العرب الخطر الإسلامي مأخذ الجد لسحقوه بين يوم وليلة..."

و الرواية تشير كذلك إلى سماحة الإسلام مع خصومه ، و قصة زواج النبي صلى الله عليه و سلم من "صفية بنت حيي بن أخطب" يذكرها التاريخ بتجلة و انبهار. فعلى الرغم من أن "حييا" كان عدوا لدودا للإسلام و المسلمين ، و مات بسيف القصاص يوم – بني قريظة – إلا أن الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم

الذي قال الله فيه: " وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم (3) " [1] ، نظر للأمر بعين الحكمة النبوية الصائبة فهو :"وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)" [2]، يقول الدكتور في صفحة: 117 من الجزء الثاني:

و اقترب منها الرسول صلى الله عليه و سلم و قال: **"لم يزل أبوك من أشد الناس عداوة لي حتى قتله الله**..."رفعت عينين صافيتين إلى الرسول و قالت:

"يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه: "وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" [3] .... و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوة يقين، و رجاحة عقل، و فساحة صدر: **"اختاري، فإن اخترت الإسلام أمستك لنفسي ، و إن اخترت اليهودية ، فعسى أن أعتقك فلتلحقي بقومك"**... قالت صفية و قد أشرقت ملاحمها بالحب و الإيمان: «يا رسول الله لقد هديت إلى الإسلام، و صدقت بك قبل أن تدعوني إلى رحابك، و ما لي في اليهودية أرب، و خيرتني بين الكفر و الإسلام، و الله و رسوله أحب إلي من العتق و الرجوع إلى قومي...».

و سرعان ما أعتقها الرسول و تزوجها ... صورة باهرة من صور التسامح و الحنكة السياسية التي تتوفر لأعظم القواد و الساسة... و الرواية تصور المكائد و الدسائس التي كانت تحاك سرا خلف جدر "بني قريظة" وفي حصون " خيبر" و المحاولات المستميتة لاغتيال الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم ، و تنتهي الرواية بفتح مكة ، و يحتشد أئمة العناد و الحقد فيها هلعين أمام الرسول صلى الله عليه و سلم ، و يتوجه إليهم الرسول صلى الله عليه و سلم قائلا:

«**ماذا تظنون أني فاعل بكم**» يقولون:«خيرا...أخ كريم و ابن أخ كريم...»، فيشير بيده الكريمة قائلا: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» ...، و يتعالى التكبير و الهتاف في أنحاء مكة ... و هكذا دخل – محمد صلى الله عليه و سلم – أم القرى، و دخل في

[1] سورة القلم، الآية: 4.
[2] سورة النجم، الآية:3، 4
[3] سورة الأنعام، الآية: 164

ركابه التاريخ، و قد فتح سجله الكبير ليسجل إلى الأبد أروع قصة خالدة... القصة التي تمتد عبر القرون و الأجيال تقهر التحديات، و تحمل – نور الله - إلى شتى الأرجاء..." و هذا الصراع و إن كان قد اختفى بعد سقوط "خبير" إلا أنه ظل مختبئا في الصدور، يطفو على السطح قليلا، ثم يتقوقع من جديد. و كانت نتيجته ما نراه الآن جميعا...

لقد استطاع "نجيب الكيلاني" في روايته الطويلة – نور الله - أن يمزج بمهارة شديدة الفن بالتاريخ ، و هذه جرأة تحسب له ، و ما أحسب أن أديبا مسلما غيره أقدم على هذه الخطوة الجريئة التي نجحت إلى حد بعيد في – توصيل – بعض وقائع هذه الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام – بأمانة و التزام شديدين – في ثوب روائي سلس ... بعيدا عن التعقيدات التي يصادفها القارئ في بعض كتب السيرة)[1]...

(إذن، تجيء هذه الروايات في وقت نحن فيه بأمس الحاجة إلى من يبصرنا بأنفسنا و ماضينا... تجيء و الصراع على أشده بين الصهيونية العالمية التي تعضدها القوى الكبرى و بين الإسلام الذي يقف في مواجهة التحديات... و ما أشبه الليلة بالبارحة)[2]...

فنستشف من كل هذا أن نجيب الكيلاني في كل نصوصه يشغله الصراع المحتدم بين الخير والشر ويعمل جاهدا على إسماع صوت الخير وجعله أساس التعامل الإنساني، وفي المقابل يمعن في كشف وتعرية الشر السياسي والايدولوجيا وإبراز تناقضاته فهو بتجربته الغنية التي اجتمع فيها ما هو فني بما هو علمي وفكري وسياسي استطاع نبش أعماق النفس الإنسانية بكل أصنافها التي خبرها جيدا، علاوة على هذا استطاع أن يرصد كل تيارات الصراع داخل المجتمع وتحويلها إلى أصوات لغوية تتدافع في نصوصه الروائية.

[1] د.أحمد الرفاعي شرفي: مقالات الإسلاميين في الأدب و النقد، ص:264. دار ابن حزم للنشر بيروت-لبنان.ط1 2009م
[2] المرجع نفسه ص 270.

الخاتمة

تأسيسا على ما سبق يمكننا القول :

1 أن الأدب الإسلامي أدب إنساني عالمي وذلك لأنه يصور الإنسان وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويعبر عن أحلامه وأمانيه بما يتلاءم مع الواقع، في واقعية إسلامية بعيدة عن المثالية المفرطة كما أن حركة الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر تزداد تفاعلا يوما بعد آخر.

بل كانت أكثر حضورا من ذي قبل مع واقع الأمة الإسلامية وقضايا الحياة الإنسانية، إذ نلحظ الساحة الأدبية تزخر بالكثير من الأعمال الفنية الإسلامية الناضجة والمعبرة عن ذلك الواقع وبالتالي فهو أدب حياة متكامل، يبحث عن أفق حضاري يرجح كفة عامل الحوار وإبعاد عامل الصراع من المعادلة الإنسانية وذلك لأننا اليوم أمام حضارات متعددة... وشرطها الأساسي أن تكون ديمقراطية تنشد الحق والعدل والمساواة والاتجاه نحو الخير العام.

2- والعلاقات الأدبية في حضارات الشعوب تقتضي وجود حوار أدبي حضاري يمتاز بالشمولية ولا يرافق أي غالب، بل يدخل إلى مشروع حضاري إنساني يخرج من مقولة الصدام الحضاري ويدخل إلى مقولة الحوار الحضاري الإنساني الطامح للسلام، يُبرز الأدب الإسلامي تاريخ الأمة الإسلامية ويبين خطورة نظرية إلغاء الآخرين والكشف عن أهمية الانفتاح الحضاري ومساوئ الانغلاق.

3-إن الأدب الإسلامي كيان قائم بذاته أسهم بشكل كبير في التأثير على الحضارة فأمدها بكثير من الموضوعات وأوضح مجمل ما أنتجته في أحيان كثيرة.

بما أن الأدب الإسلامي هو فن، والفن من موجبات الحضارة فإنه يصبح توأما لها.

4-لقد نجحت العولمة في خلق تيار عولمي في الأدب..لكنها لم تستطيع أن تخلق أدبا عالميا أو إنسانيا، فحاولت أن تغير ما يسمى بعالمية الأدب..

وفي هذا السياق ظهرت مصطلحات جديدة للأدب نحو: التأريخ النفسي أو البيولوجي أو الاجتماعي للأدب، وكذا مصطلح الرومانتيكي.

5-إن الطرح العربي الإسلامي لموضوع حوار الحضارات وحوار الأديان هو طرح قديم، وأن الطرح العربي والإسلامي الحديث هو أنموذج نظري في حقيقة الأمر ومجرد رد فعل لإثارة الموضوع من قبل الغرب في الفترة الأخيرة. الطرح العربي الإسلامي لموضوع حوار الحضارات هو طرح قديم، لأنه يبدأ من مصدره الأساسي وهو القرآن الكريم والسنة النبوية ومصادر التراث الإسلامي المختلفة التي اعتمدت على الطرح القرآني في مخاطبة الشعوب الأخرى على المستوى الديني و الثقافي والحضاري وإن الإسلام اعترف بالتعددية الدينية والثقافية واعتبر أن اختلاف الأمم في الأديان والحضارات هو بمثابة قاعدة للتعارف والتعامل بين الشعوب المختلفة.

6-إن الكيلاني استطاع أن يقتحم ميدان الرواية الصعب، ويشيد منه معمارا إسلاميا جميلا لا يضاهيه فيه إلا قلة من أدباء العرب، فقد زود مكتبة الأدب الإسلامي بعدد من رواياته التي يبرز فيها التصور الإسلامي للحياة وتميزت بالكلمة الطيبة والفن الصادق، والتصوير الموحي والإشارات الذكية الدالة، ويقول عنه أحد الباحثين إنه في رواياته أكثر عمقا ووضوحا وأكثر أصالة وأصدق تعبيرا وفنا.

إن كتابات الكيلاني جديرة بأن يقرأها كل مسلم.

7-إن حوار الحضارات حقيقي ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر، والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني.

9-إن مستقبل تفعيل حوار الحضارات يقوم على آليات ثلاث أساسية

أ- إن دراسة الحضارات اللاغربية في مجال الدراسات منزلة تعادل بأهميتها - على الأقل - أهمية الثقافة الغربية.

أن يشغل مبحث الجمال منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية التعليم العلوم والتقنيات

ج- أن تعادل أهمية النظرة الأمامية فن تخيل المستقبل والتفكير في الغايات والأهداف أهمية التاريخ على الأقل[1].

وختاما لا أزعم أني قد بلغت الكمال فالكمال لله وحده وإنما هذا جهد المقل، فإن أحسنت فمن الله عز وجل، وإن أسأت فمن نفسي، والله العلي أسأل أن ينتفع بهذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

[1] روجه غارودي، في سبيل حوار الحضارات ترجمة الدكتور عادل العوا، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط2، 187/1982.

قائمة المصادر و المراجع:

-القرآن الكريم

-الحديث النبويّ

1- أحمد الأشهب، حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر، 1989.

2- أحمد الرفاعي شرفي، مقالات الإسلاميين في الأدب و النقد الجزء الثاني، دار ابن حزم بيروت-لبنان ط1 1430ه-2009م.

3- أحمد الرفاعي شرفي، مقالات الإسلاميين في الأدب و النقد الجزء الثالث، دار ابن حزم بيروت-لبنان ط1 1430ه-2009م.

4- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، ط29، 1985.

5- أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، 1900.

6- أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، في الفترة مابين 1976/1931، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت

7- الشاذلي القليبي، العلاقات بين الحضارتين العربية والأوروبية، مجلة الآداب في العددين 4و5، بيروت، 1983.

8- أنور الجندي، خصائص الأدب العربي، بيروت، لبنان.

9- توفيق الحكيم، زهرة العمر، مكتبة الآداب، القاهرة، 1955.

10- ثريا عبد الفتاح ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه حتى منتصف القرن العشرين ،دار الكتاب المصري، 1950.

11- حسين الطوبجي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، 1978.

12- حلمي القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ط1، دار النشر، عمان الأردن، 1996م.

13- رشدي فكار، النظرات الإسلامية للمجتمع والإنسان خلال القرن الرابع عشر هجري، القاهرة، مكتبة الوهب ط1، 1980.

14- روجه غارودي، في سبيل حوار الحضارات ترجمة الدكتور عادل العوا، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط2،1982.

15- سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات {المنهج والمصطلح والنماذج}

16- سعد أبو الرضا، الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح، مجلة الأدب الإسلامي، ط1، 1980.

17- سعيد صادق الولي، مفهوم الروائية الكتابة عند نجيب الكيلاني، مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثالثة العددان 9،10 ديسمبر 1955م - أبريل 1996.

18- سيد قطب، في تاريخ فكرة ومناهج، دار الشروق، القاهرة، 1992.

19- عبد الباسط بدر، مقدمة في الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر، جدة، المملكة السعودية، ط1، 1985.

20- عبد الحفيظ بورديم، في مصطلح الأدب الإسلامي، مجلة كلية الأدب ط1، المجلد الثاني، نوفمبر، 2000.

21- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

22- عدنان رضا نحوي، الأدب الإسلامي - إنسانيته وعلمانيته - دار النشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994.

23- كرم البستاني، المنجد في اللغة والأعلام– دار المشرق – بيروت، ط26، 1975

24- لخضر العرابي، الأدب الإسلامي ماهيته و مجالاته، دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران – الإيداع القانوني: 2003م

25- لخضر العرابي، أعراض القصص القرآني عند السيد قطب.

26- محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية دار البيضاء، ط1، 1986.

27- محمد البشير، الأدب الإسلامي والمنحنى التنفسي.

28- محمد الرابع الحسني الندويا الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط1، 1405، 1985.

29- محمد الرابع الحسني الندويا الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط1، 1405،1985.

30- محمد حسين بريغش، الأدب الإسلامي ـ أصوله وسماته ـ مؤسسة الرسالة، بيروت ط2 - 1416.

31- محمد عادل الهامشي، في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، دار القلم، دمشق.

32- محمد عادل الهاشمي، الإنسان في الأدب الإسلامي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ، العزيزية.

33- محمد عبد الشافي القوصي، مجلة الأدب الإسلامي/السنة الثالثة/العددان التاسع والعاشر/رجب-ذو الحجة1416ه.

34- محمد عمارة، التراث والمستقبل، القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1418ه ـ 1997.

35- محمد غنيمي، هلال، الموقف الأدبي، بيروت، 1977.

36- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1983.

37- محمد نجيب الكيلاني، موكب الأحرار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415، 1994.

38- محمد نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

39- محمد نجيب الكيلاني، عمالقة أشمال، كتاب المختار، ط20/ 2005.

40- محمد نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي،كتاب الأمة:14، جمادى الثانية، 1407هـ، ص 36، قطر.

41- مروة حسب، النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ـ المجلة الأولى ـ دار الفرابي ـ الطبعة 2، الجزائر 2002.

42- وليد إبراهيم قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الوعي للنشر و التوزيع – رويبة – الجزائر، ط2 1433ه/2012م

43- يوسف القرضاوي، الحوار بين الإسلام والنصرانية، موقع إسلام أون لاين، مركز الإسلام وقضايا العصر، بتاريخ 2005/08/13.

44- يوسف قرضاوي، خطابنا الإسلاميفي عصر العولمة، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1424هـ - 2004م.